الفصل الرابـع

تربية الطفل على مبادئ حقوق الإنسان في التعليم بالمملكة العربية السعودية.

- قال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ .
- قال رسول الله ﷺ : « تعلموا العلم وعلموه الناس» .
- قال الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود : «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، يطيب لي أن أكون معكم اليوم رجال المعارف والتعليم نلتقي جميعاً ونحن نتطلع إلى مستوى تعليمي أفضل لأبنائنا ليتعلموا مزيد من الحق والفضيلة إسلامياً وإنسانياً، أيها الإخوة: تعلمون أن الكلمة الأولى من الخالق جل وعلا لمخاطبة نبيه ﷺ كانت: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، وهذا أيها الإخوة توجيه رباني وتجسيد لحقائق العلم والمعرفة الأمر الذي يفرض علينا إعطاء التعليم كل ما يستحق من اهتمام وجهود ولا شك أنكم تدركون أن التعليم هو الأساس الذي تقوم عليه حضارة الأمم مادياً ومعنوياً ، فالعلم ليس ترفاً ولكنه ضرورة، ضرورة للخروج من الظلمات إلى النور، إنه منطلق النهوض من الجهالة إلى المعرفة ومن الضعف إلى القوة، وبهذا المفهوم بدأت بلادكم الطاهرة منذ عهد موحدها وباني كيانها الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ في التأسيس للتعليم والمعارف» .
- يقول الباحث الفرنسي مارسيل بوازار : « لا تمييز في العقيدة الإسلامية بين الموجب القانوني والواجب الخلقي، وهذا الجمع المحكم بين القانون والخلق يؤكد قوة النظام الإسلامي منذ البداية في جميع شؤون الحياة بما فيها التعليم» .

تربية الطفل على مبادئ حقوق الإنسان في التعليم بالمملكة العربية السعودية

تسعى كثير من دول العالم إلى تضمين معاني الإنسانية في أسس مناهجها لتفرغ تلك الأسس في نصوص المقررات الدراسية بقصد تعليم الطفل حقوقه وحقوق الإنسان الآخر الذي يختلف عنه في لونه وجنسه وعرقه ودينه ولسانه، وبالجملة في حضارته وثقافته. والمبدأ العاشر من إعلان حقوق الطفل الذي أصدرته الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة بموجب القرار رقم ١٣٨٦ د ـ ١٤ في ١٩٥٩/١١/٢٠م ينص على : « أن يحاط الطفل بالحماية من جميع الممارسات التي قد تدفع إلى التمييز العنصري أو الديني أو أي شكل آخر من أشكال التمييز ، وأن يربى على روح التفاهم والتسامح والصداقة بين الشعوب والسلم والإخوة العالمية، وعلى الإدراك التام لوجوب تكريس طاقته ومواهبه لخدمة إخوانه البشر»، والإسلام في جانب التربية والتعليم للمبادىء الحقوقية له في ذلك منهج عريض في أن يعرف كل مسلم إنسانية غيره من الناس، وقد تحدثنا عن ذلك كثيراً عندما قدمنا في الجزء الأول من الموسوعة القواعد العامة لحقوق الإنسان في الإسلام، وعندما عرضنا مبادىء حقوق الإنسان لغير المسلمين في الإسلام، وما تضمنته موضوعات هذه الموسوعة من تقرير الكثير من الأسس الحقوقية للإنسان التي جاء بها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وما حفلت به أدبيات علماء الإسلام من أحكام بيانية لحفظ حقوق الإنسان ووجوب تربية الإنسان المسلم عليها إنفاذاً لتعاليم العقيدة والشريعة الإسلامية، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1]، يقول غوستاف لوبون : «الإسلام من أكثر الأديان ملاءمة لاكتشافات العلم ومن أعظمها تهذيباً للنفوس وحملاً على العدل والإحسان والتسامح»[2].

وإننا إذ نتناول موضوع التربية والتعليم وما فيه من تنشئة الطفل على المبادئ الحقوقية في المملكة العربية السعودية نستذكر ما تعرضت إليه المملكة العربية

السعودية من هجمة شرسة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م على الولايات المتحدة الأمريكية، تلك الهجمة التي شملت الدين الإسلامي ومحاربته صليبياً وصهيونياً ، وشملت تلك الهجمة الأسرة الحاكمة والشعب السعودي في كافة جوانب الحياة، أنتقد نظام الحكم القائم على البيعة والشورى والحكم بما أنزل الله، أفحكم الجاهلية يبغون؟ انتقد النظام الاقتصادي القائم على حرية الملكيات وعدم أكل أموال الناس بالباطل إذ يمحق الله الربا ويربي الصدقات، لحقت تلك الهجمة الحياة الاجتماعية القائمة على شرع الله المطهر في الزواج والمواريث ونظام علاقات الرجال بالنساء على الحق حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض، وطالت الهجمة مناهج التعليم ومقررات الدراسة فقيل أنها تعلم النشيء الإرهاب والعنف، ووصل الأمر بمن هاجموا المملكة إلى أنه يتوجب على المسلمين تغيير آيات القرآن الكريم، ذلك الطلب السافر الذي توجه به مشركي العرب ومن ورائهم اليهود إلى الرسول ﷺ لأن يأتي بقرآن غير الذي جاء به، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٣]، هذا مبتغى يهود اليوم ومن شايعهم كما كان غرض يهود الأمس، يريدون أن يشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ليضيع الدين وتضيع حقوق الله وحقوق الأنبياء والرسل وحقوق الناس جميعاً، يقول المستشرق الألماني جولد تسيهر : «علينا إن أردنا أن نكون عادلين بالنسبة إلى الإسلام أن نوافق على أنه يوجد في تعاليمه قوة فعالة متجهة نحو الخير، وأن الحياة طبقاً لتعاليم هذه القوة يمكن أن تكون حياة طيبة لا غبار عليها من الوجهة الأخلاقية، هذه التعاليم تتطلب رحمة جميع خلق الله، والأمانة في علاقات الناس بعضهم ببعض، والمحبة والإخلاص، وقمع غرائز الأثرة، كما تتطلب سائر الفضائل»[٤]، إن اليهود يدفعون غيرهم لمحاربة الإسلام حتى لا يفضح أمرهم وتنكشف حقيقتهم، أساؤا إلى عيسى بن مريم وأمه عليهما الصلاة

والسلام وأتباعه وظلموهم منذ زمن بعيد، والحاضر المشاهد يبين كيف أن اليهود يبتزون الناس ويأكلون أموالهم باسم حملة القضاء على اليهود المسماة **Holocaust** التي وقعت من النازية خلال أحداث الحرب العالمية الثانية ١٩٤٠ ـ ١٩٤٥م ومعظم ضحاياها من اليهود في أوروبا، فباسم حملة القضاء على اليهود التي قام بها بعض الأشرار في الغرب يدفع من ليس لهم ذنب ما يسمى بالأضرار لتلك الإبادة،حيث تفتح تلك الدول خزائن بنوكها لتعوض اليهود عما لحقهم من أضرار مزعومة، ولكن اليهود لم يفلحوا في ذلك مع المسلمين لما في القرآن الكريم من حقائق عن اليهود ومعاملتهم للناس، فهم يريدون الخلاص من المسلمين ودينهم وكتابهم المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وفي هذا الصدد سوف نقدم موجزاً عاماً عن حقيقة التعليم ومناهجه ومقرراته في المملكة العربية السعودية وصلتها بحقوق الإنسان على خلاف ما زعمه الزاعمون وقال به المرجفون لنميط اللثام عن الزور والافتراء.

وأساس هذا المبحث جزء يسير من الدراسة التي شاركت في اعدادها باسم المملكة العربية السعودية لمؤتمر: (التربية على حقوق الإنسان) الذي عقد في المملكة المغربية بإشراف وزارة حقوق الإنسان في الرباط خلال الفترة ١ ــ ٤ /١١/١٤١٩هـ الموافق ١٧ــ٢٠/٢/١٩٩٩م ، وقد شرفت في هذا المؤتمر بأن كنت المقرر العام له.

إن المناهج والمقررات التعليمية تعلم النشء الأسس الإنسانية والحقوقية والمبادئ العادلة لحقوق الآخرين مما سبق إليه الإسلام فيما تعرضه كثير من الهيئات والمنظمات الدولية مثل منظمة اليونسكو المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة، وكذلك مما جاء في العهود والمواثيق الدولية مثل اتفاقية الطفل التي صدرت عن الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في ٢٠/١١/١٩٥٩م بالقرار رقم ١٣٨٦ د ــ١٤، وكذلك مما جاء في ثنايا الإعلان بشأن المبادئ الأساسية الخاصة بإسهام وسائل الإعلام في دعم السلام والتفاهم الدولي وتعزيز حقوق الإنسان ومكافحة العنصرية والفصل

العنصري والتحريض على الحرية، ذلك الإعلان الذي اصدره المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة اليونسكو يوم ١٩٧٨/١١/٢٨م، وكذلك الإعلان بشأن إشراب الشباب مثل السلم والاحترام المتبادل والتفاهم بين الشعوب الذي أصدرته الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في ١٩٦٥/١٢/٧م بالقرار ٢٠٣٧ د ـ ٢٠ ، فلننظر إلى واقع ذلك في مناهج التعليم وأسسه في المملكة العربية السعودية.

المبادئ الحقوقية العامة للتعليم

منذ تأسيس المملكة العربية السعودية وعبر الأزمنة المختلفة وبحكم تمسك المملكة بالشريعة الإسلامية، كان المنهج التعليمي يقوم على تربية الإنسان السعودي تربية إسلامية إنسانية تعرِّفه الحقوق والواجبات نحو نفسه وغيره من بني آدم، بدءاً من احترام أصحاب الأديان المخالفة لدين الإسلام باعتبار الدين أغلى ضميمة لقلب الإنسان كما هي ضميمة الوطن وحبه، والإنسان المسلم يعلم أنه لا يجوز أن يجبر أحدًا على أن يترك دينه ليدخله في دين الإسلام قسراً وقهراً وإكراهاً ، قال الله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[٥]، والإسلام يدعو إلى احترام أهل الأديان الأخرى إنسانياً، يقول الله تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٦]، وهذا النهي إشارة إلى ضرورة حسن المعاملة مع غير المسلم إذا لم يكن حربياً احتراماً لحق الدين والإنسانية ولا يكره أحد على تغيير دينه، ولهذا يقول المستشرق الفرنسي إميل درمنغم E.DERMENGHEM : «لم يشرع الجهاد في الإسلام لهداية الناس بالسيف ففي القرآن ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ والقرآن يأمر المسلمين بالاعتدال وبألا يبدءوا بالاعتداء»[٧]، فهل المطلوب تغيير هذا المبدأ الإسلامي في جانبه الإنساني الحقوقي في مناهج ومقررات التعليم في المملكة العربية السعودية؟ وهل من مبدأ أفضل من هذا الذي يعطي للإنسان

حرية اختيار الدين والعقيدة؟ وتأكيداً لحسن معاملة المخالفين لدين الإسلام من غير المسلمين وحفظ حقوقهم الإنسانية يأمر الله تعالى المسلمين بذلك، يقول جلا وعلا: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٨]، أليس العلاقة الحميمة والعلاقة الإنسانية القائمة على مبادىء البر والعدل والقسط والتعاون الإنساني فرضًا اسلاميًا ومطلبًا إنسانيًا قرره الإسلام في الآية السابقة في حق غير المسلمين ؟ وهذا يشمل كثير من الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية، فإلى أي مبدأ نغير هذا، إلى الصراع والقتال وصناعة أسلحة الدمار الشامل وفرض النظم السياسية والاقتصادية قهراً وقسراً على الأمم والشعوب وحرمانها من حق السيادة في أوطانها؟ أم تستند إلى أسس المودة والمحبة التي وردت في الآيات السابقة التي أرست مبادئ حقوقية إسلامية من بعدها الإنساني ودعت إلى الاستقرار والسلام والأمان والطمأنينة، يقول الباحث الهولندي م. واجنر **M. Wagner** : « الإسلام دين العلم ويكفي أن أول آية في القرآن أنزلت على محمدﷺ هي قوله تعالى: ﴿ اقرأ ﴾ وهذا اتجاه فريد يصعب وجوده في تاريخ الكنائس والأديان الأخرى. ولهذا تجدني وصلت من خلال الدراسات الإسلامية وما قرأته في كتاب الله تعالى الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصلت إلى ما أبغيه لنفسي من الاستقرار والأمان»[٩]، وتتضمن مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية تعليم الطفل الحقوق العامة والحقوق الخاصة، فعن الحقوق الخاصة نعطي مثالاً لما للمرأة (لأهمية الأمر بالنسبة للجاهلين بحقيقة المرأة وحقوقها في الشريعة الإسلامية ومكانتها في المملكة العربية السعودية المعتمدة على أحكام الإسلام) من حقوق يجب أن تعرفها من خلال الدور الذي لعبته بنات جنسها في تاريخ

الإسلام، فقد شاركت المرأة الرسول ﷺ في الرأي وفي التعليم، وسافرت معه وشاركت في بعض الحروب بتمريض الجرحى وسقي الماء، وسابق النبي ﷺ بعض زوجاته أكثر من مرة إلى غير ذلك من صور تمتع المرأة بحقوقها في الإسلام، وللمرأة حق المطالبة ورفع الدعوى، وهي تتمتع في المملكة العربية السعودية بحرية المساواة بينها وبين الرجل في حق التعليم والعمل والملكية الفردية.. إلخ.

وتركز المناهج ومقررات التعليم في المملكة العربية السعودية النظرية والتطبيقية (الدينية والأدبية والعلمية) بصفة مباشرة على تنشئة وتربية المتعلمين تنشئة مباشرة على حقوق الإنسان بعد معرفة حقوق ربه سبحانه وتعالى وحقوق أنبيائه ورسله ﷺ، فالمتعلم يُعرَّف على حقوقه كابن، ويعرَّف على حقوق الوالدين والأسرة، وحقوق أقاربه وأرحامه وأصدقائه وجيرانه حتى حقوق ضيوفه من داخل البلاد وخارجها مسلمين وغير مسلمين، كما ينشأ المتعلم على حفظ حقوق الآخرين مهما اختلفت أديانهم وألوانهم، والتراث الإسلامي وقوامه الكتاب والسنة يزخران بهذه التعاليم الحقوقية التي يتلقاها المتعلم من خلال قراءة النصوص التي تُضَمن في المقررات الدراسية، يقول الكاتب الهولندي م واجنر : « ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾، ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ ، لقد تركت هذه الآيات العظيمة أثراً بالغاً في نفسي لأن فيها دليلاً على ذلك الطابع العالمي الذي يتميز به الإسلام، فضلاً عما يمتاز به من النظم والتشريعات الأخرى، وبيانه الكامل لحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام، فهل هناك أقوى وأصدق من تلك التعاليم المتحررة التي توصينا باحترام كل ما جاء به جميع الرسل والأنبياء؟ لا شك أن الدين الإسلامي هو دين الحق والصدق والبرهان»[١٠]، وسوف نلقي الضوء على بعض ملامح التربية على حقوق الإنسان من خلال نظام وسياسة التعليم وإعداد المناهج والمقررات الدراسية والبرامج والأنشطة اللاصفية في المملكة العربية السعودية والمضامين والمفاهيم الأساسية عن حقوق الإنسان في صورتها الإسلامية والإنسانية لنؤكد

على أنها لا تعلم الأطفال الإرهاب والعنف ، بل هي على العكس من ذلك.

تنبثق سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة خلقاً وشريعة وحكماً ونظاماً متكاملاً للحياة، وهي جزء أساسي من السياسة العامة للدولة، ومن الركائز الأساسية لهذه السياسة الإيمان بكرامة الإنسان، والعدل، والتكامل والمساواة. بغض النظر عن اللون والجنس واللغة أو الدين. وهذه الركائز ترجمت إلى أنشطة ومفاهيم تربوية تمحورت حولها المناهج والمقررات والمناشط التربوية والتعليمية والترفيهية في المملكة، وهذه بعض الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم في المملكة العربية السعودية :

١ ـ المثل العليا التي جاء بها الإسلام لقيام حضارة إنسانية رشيدة بنَّاءة تهتدي برسالة النبي محمد ﷺ لتحقيق العزة في الدنيا والسعادة في الدار الآخرة.

٢ ـ الإيمان بالكرامة الإنسانية التي قررها القرآن الكريم، وأناط به القيام بأمانة الله في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[١١].

٣ـ فرص النمو مهيأة أمام الطالب والطالبة للمساهمة في تنمية المجتمع الذي يعيش فيه، ومن ثم الإفادة من هذه التنمية التي شارك فيها.

٤ـ تقرير حق الفتاة في التعليم بما يلائم فطرتها ويعدها لمهمتها في الحياة على أن يتم هذا بحشمة ووقار، وفي ضوء شريعة الإسلام، **«فإنما النساء شقائق الرجال»**.[١٢]

٥ـ طلب العلم فرض على كل فرد بحكم الإسلام، ونشره وتيسيره في المراحل المختلفة واجب على الدولة بقدر وسعها وإمكانياتها.

٦ ـ الاستفادة من جميع أنواع المعارف الإنسانية النافعة على ضوء الإسلام، للنهوض بالأمة ورفع مستوى حياتها، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها.

٧ ـ التناسق المنسجم مع العلم والمنهجية التطبيقية (التقنية) باعتبارهما من أهم

وسائل التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والصحية، لرفع مستوى أمتنا وبلادنا، والقيام بدورنا في التقدم الثقافي العالمي.

٨ ـ التفاعل الواعي مع التطورات الحضارية العالمية في ميادين العلوم والثقافة والآداب، بتتبعها والمشاركة فيها، وتوجيهها بما يعود على المجتمع والإنسانية بالخير والتقدم.

٩ـ احترام الحقوق العامة التي كفلها الإسلام وشرع حمايتها حفاظاً على الأمن، وتحقيقاً لاستقرار المجتمع المسلم في الدين، والنفس، والنسل، والعرض، والعقل، والمال.

١٠ـ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع تعاوناً، ومحبة، وإخاء، وإيثاراً للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

١١ـ النصح المتبادل بين الراعي والرعية بما يكفل الحقوق والواجبات، وينمي الولاء والإخلاص[١٣].

وبقدر ما تجهد البشرية في بحثها عن منطلقات ومناهج لحياة كريمة ينعم فيها الإنسان بالأمن، والاستقرار والعدالة نجد أن ذلك كله قد دعت إليه وأقرته شريعة الإسلام، ولا يسع ذو العقل الحر المنصف إلا أن يقف أمام تلك التوجيهات والنظم بكل إجلال وتعظيم مما بينا كثيراً منه في هذه الموسوعة من قواعد حقوقية أصيلة في القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد ﷺ. ولا يخفى على القارىء أن الهدف الأساسي لإعداد هذه الموسوعة هو تبويب أحكام الإسلام وقواعده عن حقوق الإنسان تحت موضوعات ومواد علمية تشرح حقيقة الإسلام وحفظها لحقوق الإنسان من بعد تأصيلي لما جاء في القرآن الكريم وأحاديث النبي الرؤوف الرحيم محمد ﷺ، تلك القواعد والأحكام التي تنعكس إيجابيتها في النظم والتعليمات التي تعمل بها المملكة العربية السعودية ، وللننظر إلى تلك القواعد وما احتوت عليه مناهج التعليم من تلك المبادئ والأحكام الحقوقية.

مضامين حقوق الإنسان في مناهج التعليم

من ملامح نظام التعليم في المملكة العربية السعودية ومضامين حقوق الإنسان في مناهج التعليم التي انبثقت من السياسة العامة للتعليم نذكر ما يلي:

١ـ اعتنى الإسلام بحفظ الإنسان وصيانته من كل ما يتلفه أو يضره أو يدنسه أو يشينه سواء كان ذلك في الدين أو في النفس أو في العقل أو في النسل أو العرض أو في المال[١٤].

٢ـ يشعر الفرد عند التحاقه بالعمل باللذة والكرامة والرفعة عن ذل المسألة والحاجة وتكفف الناس ويحقق النظرة السليمة.

٣ـ أما العمل بالنسبة للجماعة فإنه يحقق مزيداً من الرخاء والثروة والقوة والعزة.

٤ـ أكد المنهج على العناية بالبنات، وذلك لأن النفس جبلت على حب الولد منذ الأزل، وقد كان الإنسان الجاهلي يسودُّ وجهه عندما يرزق بأنثى، فرفع الإسلام قدر البنت وعظم شأنها، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾[١٥]، يقول المستشرق الفرنسي مارسيل بوازار : « أثبتت التعاليم القرآنية وتعاليم محمد ﷺ أنها حامية حمى حقوق المرأة »[١٦].

٥ ـ الأسرة هي لبنة من لبنات المجتمع التي يتكون منها بناء المجتمع حتى يصبح بناء محكماً قوياً وهذا ما تدعو إليه الفطرة ويدعو إليه الدين الإسلامي.

٦ـ الزوجة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، فهي مسؤولة عن نفسها وعن المتاع وحرمة البيت والأطفال، فإن كانت صالحة صلح البيت وإلا كان العكس، ولهذا حض الإسلام على حسن اختيار الزوجة وشدد فيه، وقد شرع الإسلام النظر إلى المخطوبة ليكون الرجل على بينة من الأمر فلا يقدم إلا عن اقتناع[١٧].

أكدت المناهج التعليمية في المملكة العربية السعودية على حق المرأة في التعلم بمختلف أنواعه، بينت حقوقها الاقتصادية ولها أن تتاجر وأن تزاول أي عمل مالي

ما دامت تؤديه في وقار وبعيدة عن الفتنة، وأيضاً حقها في حفظ شخصيتها وحقوقها المدنية، كما تبين المناهج التعليمية في المملكة العربية السعودية أن الزوج لا يفقدها شخصيتها المدنية وحقها في التملك، ولا يجوز للزوج أن يأخذ شيئاً من مالها إلا برضاها، والأهم من ذلك تعليم الطلاب أن المرأة لا تفقد اسمها أو اسم والدها عند زواجها ولا تكره لكي تحمل اسم زوجها[١٨]، فذاك حق للمرأة لا تترك نسبها وصلتها بأسرتها، يقول ول ديورانت : «رفع [الإسلام] من مقام المرأة في بلاد العرب، وقضى على عادة وأد البنات وسوّى بين الرجل والمرأة في الإجراءات القضائية والاستقلال المالي، وجعل من حقها أن تشتغل بكل عمل حلال، وأن تحتفظ بمالها ومكاسبها، وأن ترث، وتتصرف في مالها كما تشاء، وقضى على ما اعتاده العرب في الجاهلية من انتقال النساء من الآباء إلى الأبناء فيما ينتقل لهم من متاع، وجعل نصيب الأنثى في الميراث نصف نصيب الذكر، ومنع زواجهن بغير إرادتهن»[١٩]، ويؤكد نفس المعنى المستشرق الفرنسي جاك ريسلر بقوله : «لقد وضعت المرأة على قدم المساواة مع الرجل في القضايا الخاصة بالمصلحة فأصبح في استطاعتها أن ترث، وأن تورث، وأن تشتغل بمهنة مشروعة لكن مكانها الصحيح هو البيت، كما أن مهمتها الأساسية هي أن تنجب أطفالاً وعلى ذلك رسم لها النبي ﷺ واجبها فأيما امرأة مات زوجها وهو راضٍ عنها دخلت الجنة»[٢٠].

وتدعو المناهج الدراسية في المملكة العربية السعودية إلى حسن الخلق والحياء وفضله، ونبذ النفاق والعنف، والعفو، والمسامحة في التعامل مع الآخرين. والدعوة إلى العلم وفضله وأهمية العمل اليدوي والمهني وعدم تحقيره أو التقليل من شأنه.

وتأخذ قضية النظافة جانباً مهماً في المناهج الدراسية حيث يدرس للطلاب الاهتمام بنظافة مصادر المياه، والدعوة إلى عدم تلويثها بإلقاء القاذورات أو النجاسة فيها، والنهي عن التبرز أو التبول في المياه أو شواطئه، كما يتم التأكيد من خلال المناهج على نظافة المسكن والشوارع وكل أرجاء المدينة بل بلده كله، قال تعالى : ﴿ إِنَّ

اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٢١]، وقال رسول الله ﷺ : «**الطهور شطر الإيمان**»[٢٢]، يقول الطبيب والباحث الفرنسي سلمان بنوا **Selman Benoist** : « إن السكوت عن طهارة الجسد نجده في الأديان الأخرى غير الإسلام، بل يخالطه كذلك شعور بالعداوة فيما يتعلق بالحياة الجسدية للإنسان، بينما اتضح لي ان الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتمشى مع الفطرة الإنسانية»[٢٣].

وتتميز مناهج التعليم بأنها تقدم بين يدي المتعلم حقوقه وواجباته كفرد ومواطن حتى يعرف ما له وما عليه، ويحس بالأمن حين شعوره بأن مطالبه وحقوقه معطاة له دون عائق، ومن ذلك حقه في المساواة دون النظر إلى الجنس أو اللون أو النسب أو المال، كذلك حق الحياة الكريمة وحفظ النفس، وحق التملك والكسب، ولم تغفل المناهج الدراسية الحريات الممنوحة للفرد والتي تعتبر حق من حقوقه، فيدرَّس للطلاب حرية المسكن وحرية العمل وحرية الرأي... إلخ ، وبعد أن حددنا أهم المبادىء العامة للتعليم في المملكة العربية السعودية والأسس التي تقوم عليها السياسة العامة للتعليم بتركيزها على الجانب الإسلامي والإنساني ، وبعد أن تحدثنا عن المضامين الأساسية لحقوق الإنسان للأولاد والبنات في مناهج ومقررات التعليم مما يتعلموه عن حقوقهم في الحياة والكرامة والمساواة والعدل وحفظ الضروريات الخمسة التي أمر الإسلام برعايتها، ومعرفة حقوق الوالدين والأقرباء والجيران والضيوف وحقوق المخالفين لهم في الدين والعقيدة لاختلاف حضارتهم عن حضارته وما لهم من حق إنساني شرعه الإسلام ووجوب احترامهم، وما يتعلمه الطفل من معرفة حقوقه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .. إلخ . وبعد عرض الجوانب النظرية لمبادئ التربية على حقوق الإنسان في التعليم في المملكة العربية السعودية، فإننا سوف نعطي نماذج لبعض محتويات حقوق الإنسان في المقررات الدراسية في المملكة العربية السعودية لتأكيد ذلك لمن يرغب في الاطلاع والتثبت من الحق.

نماذج تعليم حقوق الإنسان في مناهج التعليم والمقررات الدراسية السعودية

١ ـ حق الكرامة والحياة والمساواة .

تميزت شريعة الإسلام بالمحافظة على كرامة الإنسان من جميع الوجوه، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[٢٤]، ولحَقُّ الإنسان في الحياة حرم الإسلام أن يقتل المرء نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[٢٥]، ومنها الحفاظ على عقل الإنسان وذلك بتحريم الخمر والمخدرات، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [٢٦]، ويحرم الإسلام أن ينتهك الإنسان كرامة أخيه أو يسيء إلى آدميته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾[٢٧]، يقول الباحث الأمريكي دونالد ركويل D. Rikwell : «إن الجانب الإنساني في الإسلام واضح ملموس، فالناس سواء أمام الله وإن اختلفوا في حظوظ الدنيا ومتاعها، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى»[٢٨].

وتتميز المناهج الدراسية في المملكة العربية السعودية بالمحافظة على كرامة الإنسان، التي جاءت في القرآن الكريم وأحاديث الرسول المصطفى الرؤوف الرحيم ﷺ ومنها النهي عن الظلم، والحث على العدل وأعمال الخير التي منها فك الأسير من أسره، قال رسول الله ﷺ: **«أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني»**[٢٩] وكذلك مساعدة المحتاج قال ﷺ : **«أعينوا ذا الحاجة الملهوف»**[٣٠]، هذه الجوانب الحقوقية الإنسانية تدرس في مواد التربية الإسلامية (القرآن الكريم، التفسير، الحديث، السيرة النبوية، العقيدة، الفقه)، كما يدرس بعضها في النصوص الأدبية والمطالعة في مراحل التعليم المختلفة، فهل المطالبون بتغير مقررات ومناهج التعليم في المملكة يريدون عكس هذه المبادىء المباركة الإنسانية التي تدعو إلى الكرامة وحق الإنسان في الحياة مما تنادي به الأصوات لتطبيق حقوق

الإنسان وعدم انتهاكها. وتعليقاً عن حقيقة حفظ الإسلام لكرامة الإنسان يقول المستشرق الفرنسي مارسيل بوازار : «أليس من الواقعية والتقدمية أن يؤمن المرء بقيمة الإنسان وحريته وإرادته، وأن يتخيل إنشاء قانون تستطيع كل الشعوب الانضواء تحت لوائه إن ذاك في الإسلام الذي أنشأ ذلك القانون»[٣١].

٢ ـ حق تكوين الأسرة والزواج

تتضمن مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية تعليم الطلاب الحق في تكوين الأسرة وذاك من أبرز الحقوق الاجتماعية في الحياة الإنسانية، قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣٢]، وقد بينت الآية دعائم تكوين الأسرة والزواج من حيث سكون الزوج إلى الزوجة، والمودة، والرحمة، والأساس أن أزواجكم من أنفسكم، وحرم الزنا مقابل الزواج المشروع، قال عليه الصلاة والسلام: **«الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا الزوجة الصالحة»**[٣٣]، كما قال ﷺ : **«ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله»**[٣٤]، هذه القيم الإنسانية تسعد بها أي أسرة تربى عن الزنا، وتحمي الأمم من ضياع الأنساب وفساد الأخلاق، وتحفظ حق الإنسان من الاعتداء على الأعراض، يقول المفكر النمساوي ليوبولدفايس L. Weiss «إن الحرية التي تمنحها الشريعة الإسلامية كلاً من الرجل والمرأة على حد سواء لعقد الزواج أو حل هذا العقد، يفسر السبب الذي من أجله تعتبر هذه الشريعة الزنا من أقبح الآثام، ذلك أنه تجاه هذا التسامح وهذه الحرية لا يمكن أن يكون هناك أيُّما عذر للوقوع في حبائل العاطفة أو الشهوة»[٣٥]، هذه المبادىء التي تضمنتها بعض مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وبعض مواد اتفاقية الطفل هي ذاتها التي تُعلَّم للطفل السعودي ضمن مواد التربية الإسلامية ومواد التربية الاجتماعية في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية،

ويؤكد على تدريسها في المرحلة الجامعية حيث يكون الدارس على أبواب التخرج لاختيار العمل الذي يتناسب مع تخصصه سعياً إلى تكوين الأسوة بالزواج من امرأة صالحة وينجب الأطفال لاستمرار عمارة الأرض ، وهذه المبادئ تدرس أيضاً في بعض المواد العلمية مثل الأحياء وعلوم الأجنة والطب وسلالات البشر في المرحلتين الثانوية والجامعية تعلماً وتفكراً وتدبراً وتبصراً في حكم الله وحكمته في كافة مخلوقاته وخلقه.

٣ ـ الحقوق السياسية

تكلمنا في الباب الخاص بنواقص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عن الحقوق السياسية للراعي والرعية وبينا مفاهيم ومبادىء الشورى والبيعة التي جاء بها الإسلام لحفظ الحقوق السياسية للناس. ولما كانت الشورى والبيعة من دعائم الحكم الإسلامي فإن مناهج ومقررات التعليم في المملكة العربية السعودية تؤكد على هذه الحقوق من خلال مقررات التربية الإسلامية وعلى الأخص القرآن الكريم والعقيدة والفقه، كما يتعلم الطلاب تلك الحقوق من مادة التربية الوطنية ومادة تاريخ المملكة العربية السعودية، وجميع هذه الحقوق تدرس للطلاب والطالبات وأن الجميع متساوون في الحقوق السياسية إعمالاً لأحكام الشريعة الإسلامية التي تساوي بين الرجال والنساء في الحقوق والواجبات السياسية الأساسية، يقول المستشرق الفرنسي مارسيل بوازار : «إن الإسلام يخاطب الرجال والنساء على السواء ويعاملهم بطريقة (شبه متساوية)، وتهدف الشريعة الإسلامية بشكل عام إلى غاية متميزة هي الحماية، ويقدم التشريع للمرأة تعريفات دقيقة عما لها من حقوق ويبدي اهتماماً شديداً بضمانها. فالقرآن والسنة يحضان على معاملة المرأة بعدل ورفق وعطف، وقد أدخلا مفهوماً أشد خلقية عن الزواج، وسعيا أخيراً إلى رفع وضع المؤمنة بمنحها عدداً من الطموحات القانونية، وتشمل حقوق المرأة ـ وهي (مقدسة) وفقاً لحديث نبوي ـ بشكل أساسي : المساواة أمام القانون والملكية الخاصة الشخصية، والإرث»[٣٦].

ولهـذا لم تغفل مناهج التعليم في المملكة العـربية السـعودية تدريس المتـعلمين حقوقـهم السياسية إذ جعل الإسـلام الشورى في المجتمع الإسلامي مـصدراً منظماً للعـلاقة بين الناس والـدولة، قال الله تعـالى : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[٣٧]، وقال سبحانه آمراً نبيه ﷺ : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[٣٨]، تقول البـاحثة البولونيـة يوجينا ستشيجفسكا Bozena G. Stryzewska : «كان تاريخ التشريع الإسلامي السياسي في عهد الخلـفاء الراشدين رضي الله عنهم يعتـمد على الشورى وأساسـها قول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ ، وكذلك فـعل الرسول ﷺ مع أصحابه فـقد كان يستـشيـرهم في الأمـور التي لم يـنزل فيـهـا عليـه وحي»[٣٩]، كـما يعـلق روجيـه جـارودي على مبـادئ الحـقوق السـياسـيـة في الإسلام فـيقـول : «بفـضل مبـدأي الإسلام الأساسيين : مبدأ السلطة لله وحده وهو الذي يجـعل كل سيادة اجتماعية نسـبيـة، ومبـدأ الشورى الذي يستـبـعـد أي وساطة بين الله والشـعب، يُزال في آن واحد أي استبداد مطلق يضفي القـداسة على السلطة لتجعله إلهاً على الأرض»[٤٠]، وهذا يُظهر اهتمام الإسلام بالإنسان وإكرامه له وتفضيله على بقية المخلوقات، ولقد شجع الرسول ﷺ الصحابة على المشاركة بالرأي، وشـاورهم في كثير من الأمور، ولم تقتصر المناهج الدراسـية في المملكة العربية السعودية على تبيـان حقوق الأفراد بل تعدت ذلك إلى تنوير الطالب بنظام الحـكم، وبنظام الشورى والبيعـة حتى ينمو على احـترام آراء الآخرين والأخـذ برأي الأغلبيـة من ذوي الخبـرة والرأي، ومعـرفة حقوق الـراعي والرعية واحتـرام ولاة الأمور والعلم بما له من حقوق قـبلهم وما لهم من حقوق قبله[٤١]. هذه الجوانب يتعلمها الدارس في مادة الفقه إحدى مواد التربية الإسلامـية في المرحلتين المتـوسطة والثانوية، كـما تعلم هذه الحـقوق السـياسـية في المرحلة الجامعية في مادة فقه السياسة الشرعية وفي مادة النظم السياسية في الإسلام في أقسـام وشعب الشـريعة والعلوم السـياسـيـة، ولما كانت البـيعـة في الإسلام نمط لاختيار الحاكم وانتخابه، ولما كانت الشورى وسيلة للتعبير عن مطالب الأمة، وهو

المنهج الإسلامي الذي أراده الله للمسلمين فهم لا يرون سواه منهجاً سياسياً مما أدرك حقيقته المنصفين من غير المسلمين حتى لقد تحدث عن ذلك الكاتب الأمريكي لوثروب ستودارد **Lathrop Stoddard** بقوله : «الإسلام في عهده الأول، إنما كان شمس الحرية مشرقة وهاجة، وديناً تجلت فيه المنازع الحرة الشريفة، وليس ما طرأ على العالم الإسلامي فيما بعد من الوهن والتدني بحاجب المنصف عن جوهر الإسلام وحقيقة صفائه، فالشريعة الإسلامية كما قال العلامة ليسبار : (إنما هي ديمقراطية شورية جوهراً وأصلاً، وعدو شديد للاستبداد). وقد أجمل قامباري هذه الحقيقة في شأن الإسلام بقوله : (ليس الإسلام ولا تعاليمه السبب المفضي بآسيا الغربية إلى هذه الحالة المشهودة من التضعضع واختلال الشؤون، ولكن السبب كل السبب في ذلك إنما هو استبداد أمراء المسلمين وحكامهم الذين التووا عن الصراط المستقيم، وتنكبوا عن طريق صاحب الرسالة والخلفاء الراشدين، وناصبوا المذاهب الشورية والأصول الحرة العداء»[٤٢] فهل المطلوب أن تتغير هذه المبادئ وهذه الأحكام في مناهج التعليم ـ حتى وإن ترك بعض الحكام طريق الحق ـ نزولاً عند رغبات البعض الذين لم يرق لهم هذا النظام السياسي والدعوة إلى أنظمة سياسية لا تخالف حكم الله فحسب بل تعتدي على سيادة الأمم في أوطانها وحقوقها السياسية، ومضادة للمواثيق والصكوك الدولية عن حقوق الإنسان الذين يدعون الحفاظ عليها في تقرير المصير واحترام كافة الحريات.

٤ ـ الحقوق البيئية

لما كان من حق الإنسان أن يعيش اجتماعياً في وسط إنساني يتحلى بأخلاق طيبة وسلوك حسن، فإن مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية تعني بتعليم الطلاب حقهم في أن يعيشوا في بيئة سليمة من الأمراض والتلوث، فالإسلام يأمر بالمحافظة على البيئة والعناية بها وإحيائها بإصلاح الحرث والنسل والزرع، حتى في أوقات الحرب فضلاً عن السلم مما تحدثنا عنه في فصل سابق من هذه الموسوعة،

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[٤٣]، وللحفاظ على البيئة حتى في أوقات الحرب يقول الرسول ﷺ : «**اغزوا باسم الله وفي سبيل الله واغزوا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا تعتدوا ولا تمثلوا**»[٤٤] ، وقد أكد الخليفة الأول لرسول الله ﷺ إلى الطليعة العسكرية المسلمة ذلك في قوله: «**لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوا، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله**»[٤٥]، وتحث المناهج المدرسية في المملكة العربية السعودية على المحافظة على البيئة، قال ﷺ : «**اتقوا الملاعن الثلاثة البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل**» [٤٦]، و المناهج الدراسية تبين أهمية المحافظة على البيئة من بعدها الإسلامي والإنساني فهي تشرح المخاطر التي تهددها وبيان دور الطالب في المحافظة على البيئة من خلال الاقتصاد في استخدام المياه وعدم إتلاف الأشجار أو اقتلاعها من أماكنها، والحث على غرس الأشجار وتجنب إتلاف النباتات البرية أثناء الرحلات، وكذلك ترشيد الاستهلاك في استخدام المنتجات البلاستيكية المعدة للاستخدام لمرة واحدة، وبالعموم فإن المناهج الدراسية تشجع التلاميذ على المشاركة التطوعية في أعمال المحافظة على البيئة المحلية من التلوث بأشكالها المختلفة، ويتعلم الطالب الحقوق البيئة في مقررات التربية الإسلامية وفي مقررات الجغرافيا والفيزياء والأحياء ونصوص الأدب والمطالعة في المراحل المختلفة للتعليم، فأين المبادىء التي تحفظ الحقوق البيئية للإنسان من تلويثها عند بعض الأمم؟ من بول السكارى وقيئهم في الطرقات وعبث المتظاهرين بالأشجار والأنهار وممتلكات الناس وإتلاف الطرقات ووسائط النقل وأكثر من هذا إيذاء الناس في بيئتهم وأبدانهم من خلال رمي المواد المشعة في أراضيهم ودفنها بعد انتهاء التجارب أو خلال الحروب مما تشعه بعض المواد من أشعة خطرة على صحة الإنسان وحياته وبيئته ، هل يريد المنادون بتغيير المناهج والمقررات الدراسية في المملكة العربية السعودية أن تجعل

مجاري الصرف الصحي فوق الأرض وليس تحته مما نهى عنه الإسلام؟ أيريدون هلك الحرث والنسل بالمواد المشعة؟ أيريدون النتائج السلبية لاحداث انفجار المفاعلات النووية وما لحق الناس من الأذى بسببها، أيريدون أن يتبول ويتقيء الناس في الشوارع كما تفعل الحيوانات والسكارى والمخمورين في بعض البلدان؟ لا يمكن أن يكون ذلك، فشريعة الإسلام تدعو إلى الطهارة والنظافة والخير والحق والعدل.

٥ ـ الحقوق الصحية

تدعو المناهج الدراسية في المملكة العربية السعودية إلى العيش في محيط سليم وصحي نظيف وذلك استناداً إلى أحكام الشريعة الإسلامية التي تدعوا إلى حفظ الصحة وسلامة العقل والبدن روحياً ومادياً ، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٤٧]، ويقول جل وعلا: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٤٨]، وقال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**»[٤٩]، يقول القسيس البريطاني كانن إسحاق تيلي **K.I. Telley** : «لقد أفاد الإسلام التمدن أكثر من النصرانية ونشر راية المساواة والأخوة، وهذه الأدلة نذكرها عن تقارير الموظفين من الإنجليز، وعن ما كتبه السواح عن النتائج الحسنة التي نتجت من الدين الإسلامي ومنها الأخذ بأسباب الإصلاح وحب الطهارة واجتناب الخبائث والرجس والسعي نحو إحراز المعالي وشرف النفس»[٥٠]، وتتضمن المناهج المدرسية بيان الحقوق الصحية للطفل بتوضيح أن النظافة هي عماد الصحة وعامل مهم في احترام الناس ومبعث الحيوية والنشاط. فالصحة البدنية هي أثمن وأغلى ما يملكه الإنسان بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى وهي الصحة الروحية، فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى[٥١]، يتعلم الطفل أهمية الطهارة وتحقيق الجوانب الصحية في مقررات التربية الإسلامية ومادة العلوم العامة ومادة العلوم الاجتماعية ونصوص الأدب والمطالعة وكتب الاقتصاد المنزلي، فإذا كانت المناهج الدراسية في المملكة العربية السعودية تعلم الإنسان كيفية المحافظة على الصحة البدنية والصحة القلبية لما فيه الخير للناس وحفظ حقوقهم، وتبين

الإرشادات والتوجيهات وجملة القواعد الصحية في مناهج ومقررات التعليم ضرورة الاهتمام بالبدن والأسنان والشعر والرياضة، والمنزل ونظافته، وتضمن المناهج العناية بالصحة القلبية القائمة على الطهر والعفاف، هل يريد المطالبون بتغيير المقررات الدراسية أن ندعو إلى اختلاط الأولاد بالبنات لتقع الفاحشة؟ فيكون أولاد الزنا وتنتشر الأمراض الجنسية ويتقدمها الإيدز مرض فقد المناعة، أيريدون أن يترك المسلم مبادئ الطهارة من الحدث الأصغر بعد البول والغائط أو الطهارة من الحدث الأكبر بعد الجماع؟ ماذا يريدون؟.

٦ ـ الحقوق الوظيفية والعمل

تهتم المؤسسات التعليمية في المملكة العربية السعودية بتعريف الطلاب بكثير من حقوقهم واحترام الحقوق العامة كما جاء النص على ذلك في الباب الأول من سياسة التعليم في المملكة وعلى الأخص المادة العشرين وفيها : «احترام الحقوق العامة التي كفلها الإسلام وشرع حمايتها حفاظاً على الأمن وتحقيقاً لاستقرار المجتمع المسلم في الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال» والمال يكتسب من وجه شرعيٍّ إما بالعمل الخاص أو العمل الوظيفي، ولأهمية العمل وما للناس فيه من حقوق فيتعلم الطالب من خلال مقررات التعليم الكثير عن ذلك في الواجبات والحقوق، وهذا ما أكدت عليه المادة التاسعة والخمسون من سياسة التعليم وتنص على: «غرس حب العمل في نفوس الطلاب والإشادة به في سائر صوره، والحض على إتقانه والإبداع فيه والتأكيد على مدى أثره في بناء كيان الأمة»، كما أوضحت سياسة التعليم بعض الأهداف العلمية والتربوية بما يخص العمل مما ورد في المادتين مائة وواحد ومائة واثنين وفيهما: «تهيئة سائر الطلاب للعمل في ميادين الحياة بمستوى لائق، وتخريج عدد من المؤهلين مسلكياً وفنياً لسد حاجة البلاد في المرحلة الأولى من التعليم»، وذلك يعتمد على تعليم الطلاب حقوقهم في المساواة بين المرأة والرجل .

وانطلاقاً من مفردات سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ومضامين المقررات الدراسية حفظاً على حقوق الإنسان وتحقيقاً للمساواة في الفرص الوظيفية فلقد كفلت الدولة المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق الوظيفية والعمل عندما صدر نظام الخدمة المدنية، وقد ورد في المادة الأولى منه ما نصه: «تطبق أحكام هذه اللائحة على من يعمل بصورة فعلية في الوظائف التعليمية ويكون شاغلاً لإحدى وظائفها». واللائحة مع أنها أشارت إلى المعلمين والمعلمات فهي تعامل الرجل والمرأة العاملين في الوظائف غير التعليمية أيضاً مثلاً وعلى حد سواء في جميع المتطلبات الوظيفية من حيث المزايا والمرتبات والإجازات ونظام التقاعد، ويقر الإسلام بإعطاء كل ذي حق حقه دون تمييز في الجنس أواللون أو غيرهما، يقول الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٥٢]، وعن عمل المرأة في الإسلام وتساويها مع الرجل في ذلك الشأن باعتباره أحد حقوقها تتحدث السياسية الألمانية السيدة مونا ماكلوسكي **Muna Maclsky** بقولها : «إن الإسلام يحضنا على القيام بالعمل المثمر، شريطة أن نلتزم نحن النساء بالحشمة في لباسنا وأن نستر جمال أجسادنا وعلينا أن نكون جادين في حديثنا، وهكذا فالإسلام لا يمنع المرأة من ممارسة أي عمل شريف يناسب طبيعتها، إلا أن أقدس واجب على المرأة هو واجبها الطبيعي في خدمة أسرتها والعناية بأعضائها لأن جزاءها على هذا يعادل أجر المقاتلين في سبيل الله، والمرأة المسلمة ما زالت تقوم بهذه الواجبات بكل اعتزاز»[٥٣] وفتح الإسلام باب العمل أمام الإنسان ولم يجعله مجرد حق له، بل رعاه وأثابه عليه وحث على الاستفادة من العلم بالعمل، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[٥٤]، ومن حقوق المرأة العمل إذا احتاجت إليه، أو احتاج العمل إليها كما في بعض المهن والأعمال المناسبة لها ضمن ضوابط الشرع، فهن كما قال الرسول ﷺ : **«إنما النساء شقائق الرجال»**[٥٥].

يقول روجيه جارودي: «إن القرآن من وجهة النظر اللاهوتية لا يحدد بين الرجل والمرأة علاقة من التبعية الميتافزيقية، فالمرأة في القرآن توأم وشريكة للرجل لأن الله خلق البشر ككل شيء ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ والقرآن لا يحمل المرأة المسؤولية الأولى للخطيئة»[٥٦]، ويقول ول ديورانت : «مركز المرأة المسلمة يمتاز عن مركز المرأة في بعض البلاد الأوربية من ناحية هامة، تلك هي أنها حرة التصرف فيما تملك وتعمل لا حق لزوجها أو لدائنيه في شيء من أملاكها»[٥٧]، وهذه الحقوق يتعلمها الطالب والطالبة في مادة التربية الإسلامية علم الفقه المتصل بالمعاملات المالية والحقوق الاقتصادية، وكذلك في المواد المتعلقة بأنظمة المملكة المحلية في التربية الوطنية وغيرها من المواد في مراحل التعليم المختلفة.

وامتداداً لتلك الحقوق الإنسانية التي يتعلمها الدارس في المقررات الدراسية في المملكة العربية السعودية، فإنه يتعلم النظرة الإسلامية المتوازنة في عدم التمييز بين الرجل والمرأة. فكل من الرجل والمرأة له حقوق وعليه واجبات وهي حقوق وواجبات تكاملية، يجعل من حقوق الرجل وواجباته، وحقوق المرأة وواجباتها كلاً متكاملاً في وحدة واحدة، يتم بناء المجتمع والأسرة لتصلح بها حياة الناس، فإذا كان للرجل حق الطلاق فإن للمرأة الحق في الخروج من زواج يضرها بشروط معينة ولها الحق في طلب التطليق إذا أُضِّرت من الزوج الذي لا يكون أميناً عليها، يقول المستشرق الفرنسي مارسيل بوازار : «لقد خلقت المرأة في نظر القرآن من الجوهر الذي خلق منه الرجل، وهي ليست من ضلعه، بل (نصفه الشقيق) كما يقول الحديث النبوي **[النساء شقائق الرجال]** المطابق كل المطابقة للتعاليم القرآنية التي تنص على أن الله قد خلق من كل شيء زوجين، ولا يذكر التنزيل أن المرأة دفعت الرجل إلى ارتكاب الخطيئة الأصلية، كما يقول سفر التكوين. وهكذا فإن العقيدة الإسلامية لم تستخدم ألفاظاً للتقليل من احترامها، كما فعل آباء الكنيسة الذين طالما اعتبروها (عميلة الشيطان). بل أن القرآن يضفي آيات الكمال على

امرأتين : امرأة فرعون ومريم بنت آل عمران أم المسيح عليه السلام»[٥٨] ، والمناهج الدراسية في المملكة العربية السعودية تؤكد على الحرية والعدل والمساواة في جوانب كثيرة فهي:

ـ لا تفرق بين الرجل والمرأة.

ـ وتبين حقوقها وواجباتها كمواطنة في المجتمع حتى تعرف ما لها وما عليها، ومن ذلك النص التالي في سياسة التعليم : «**يُعنى الإسلام بشبابه، كما يعتز برجاله ونسائه المخلصين، ويجب أن ينشأ كل فتى وفتاة من أبنائه سليماً، يؤمن بربه إيماناً صحيحاً**»، وأبرز مثال لعدم التمييز هو حق المرأة في التعلم والعلم ، إذ امتن الله سبحانه وتعالى على الإنسان بالعلم والتعليم عندما خلق آدم عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[٥٩]، وقوله جل وعلا: ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٦٠]، والعلم والتعليم للإنسان حق منحه الله سبحانه وتعالى لجميع البشر، إذ يظهر للإنسان التعليم بالتلقي، والعلم بالاستيعاب والقدرة على الاسترجاع، والإفادة من العلم بإبداء الرأي أو بالإبداع الفني أو الأدبي أو العلمي، ولقد امتن الله سبحانه وتعالى على الرسل والأنبياء وكان من أجل دعاء النبي محمد ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٦١].

هكذا كان شأن حق العلم والتعليم في الإسلام كما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة ومنها قوله ﷺ: «**تعلموا العلم وعلموه الناس**»[٦٢] ، والعلم والتعليم في هذه النصوص عام شمل الذكر والأنثى على السواء.

حقوق الفئات الخاصة ومحو الأمية في التعليم

دين الإسلام دين عام يخاطب جميع الناس بجميع فئاتهم، وهو دين العلم، فهو يخاطب القوي ويخاطب الضعيف، والكبير والصغير، والذكر والأنثى، والأعمى والبصير، والصحيح والمعاق. وقد عاتب الله عز وجل نبيه محمد ﷺ حين انشغل

عن عبدالله بن أم مكتوم الأعمى بدعوة كبار القوم بقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾[٦٣]، هذه الآيات تُعد أصلاً من أصول التعليم الموجه لذوي العاهات والمعاقين في الإسلام ووجوب حفظ حقوق هذه الفئة من الناس في المجتمع، ومن المعايير التي يقاس بها تقدم الأمم ورقيها وعنايتها بضعافها ومعاقيها، وهذه الفئات من القطاع الطلابي والتي تعاني من بعض الإعاقات الجسدية والذهنية تحظى بعناية خاصة في مناهج التعليم في المملكة حيث نصت عليها بنود وثيقة سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، وتم وضع المناهج الخاصة بهم والمباني المدرسية الخاصة بكل فئة منهم، مع تجهيزها بالمرافق اللازمة من مكتبات ووسائل تعليمية وملاعب وغيرها. ولقد حظيت هذه الفئات من القطاع الطلابي بتقديم وجبات غذائية صحية متكاملة مجانية في مدارسهم. وتتمتع هذه الفئة بحقوق خاصة منها تخفيض قيمة تذاكر السفر للمعاقين بنسبة ٥٠٪ على الخطوط الجوية والبرية والبحرية والداخلية والخارجية لهم ولمرافقيهم.

ولئن كانت فكرة دمج المعاقين في المجتمع من الطرائق الحديثة في الدول، فإنها في الإسلام ظهرت قديماً مع بزوغ نوره، فحافظ الإسلام على مشاعر المعاقين فلقد جعل النبي ﷺ كفيفاً يؤذن مع بلال بن رباح رضي الله عنهما كنوع من المشاركة الاجتماعية والدينية والوظيفية، بل جعله النبي ﷺ أميراً على المدينة عندما ذهب في إحدى غزواته وهو الصحابي الجليل عبد الله ابن مكتوم رضي الله عنه، ولقد تكلمنا بشيء من التفصيل عن حقوق الضعفاء والمعوقين في الإسلام في الباب الرابع من هذه الموسوعة.

وتعتبر فكرة دمج الأطفال المعاقين في المجتمع السعودي من الطرائق الحديثة التي يتم بها تقديم أفضل الخدمات التربوية التي يحتاج إليها ذوو الحاجات الخاصة، وهذا لا يتحقق إلا بدمجهم في التعلم بطريقة أو بأخرى، وخاصة إذا علمنا أن أكثر من ٢٠٪ من تلاميذ المدارس العادية في أي بلد هم في حاجة إلى خدمات

التربيـة الخاصـة، وللمملكة العـربية السعـودية دور ريادي في مجـال دمج الأطفال المعاقـين في المدارس العادية، وتعـد تجربة وزارة التـربية والتـعليم في المملكة العـربية السعودية في هذا المجال على الرغم من قصر عمـرها من التجارب التي حققت نجاحاً كبيراً، حيث بلغ عدد معـاهد وبرامج التربية الخاصة في العام الدراسي ١٤٢٠/١٤٢١هـ ما يزيد عن (٢٢٣) مئتين وثلاثة وعـشرين معهداً وبرنامجاً منتـشرة في معظم مدن ومـحافظات المملكة، وفي مـطلع العام الدراسي ١٤١٨/١٤١٩هـ تم اسـتحـداث مشـروع الكشف عن الموهوبين ورعـايتهم تحت مظلة: (مـؤسسـة الملك عبدالـعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين)، وهذا المشروع يشمل تقديم خدمات التربية الخاصة لهذه الفئة، والعناية بأصحاب التميُّـز والمواهب من الصغار كان لهم في الإسلام نصيب، فقد قرب الرسول ﷺ عبدالله بن عباس رضي الله عنهـما ودعا له بالفقه في الدين وبعلم التأويـل لما لديه من فطنة وذكاء وسعـة أفق وإدراك، وأمر أسـامة بن زيد على جيش فيه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطـاب رضي الله عنهم جميعاً وعمره آنذاك أقل من عـشرين سنة، عناية به وإبرازاً لـه ولقدراته واسـتعـداداته العقليـة والفكرية. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته يقرب عبدالله بن عباس رضي الله عنهمـا ويجعله ضمن أعضـاء المجلس الذين يستشـيرهم، وكان ابن عبـاس حديث السن، لكنه تميَّز بفـقهه وعلمه ومـواهبه وقدراته، وهكذا كان شـأن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيرهما من شباب الصحابة التابعين رضوان الله عليهم جميعاً. كما يحظى التـعليم الخاص ومحـو الأميـة وتعليم الكبار والكبـيرات في المملكة العـربية السعودية كغـيرها من أوجه تعليم المرأة باهتمام كبيـر من قبل الدولة، حيث لا فرق في حق التـعلم بين أبنائهـا وبناتها وبين غـيرهم، وكـان عـدد الطالبات الملتـحقـات بالتعليم الخـاص للعام الدراسي ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م يزيد عن أربعـة آلاف طالبة، وعدد المعلمات في هذا المجـال هو ثمانمائة معلمة، أما عدد الإداريات فـهو ثلاثمائة وخمسون إدارية.

بنهاية هذا الفصل من الموسوعة نكون قد أوضحنا ما هي حقوق الطفل في الإسلام والأحكام الأساسية التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، ومن هذه القواعد تحددت معالم حقوق الطفل في المملكة العربية السعودية التي قامت على أساس الشريعة الإسلامية، تلك الشريعة التي أنارت السبيل في طرائق تعليم وتربية الإنسان المسلم، ومنها تحددت السياسة العامة للتعليم في المملكة العربية السعودية وبرامج تخطيط المناهج واعداد المقررات الدراسية، وهذه الخصائص المتعلقة بالطفل وحقوقه جاءت مبسوطة في كثير من الكتب التي اهتمت بالأطفال وحقوقهم وتربيتهم، كتب ألفها علماء الإسلام من أمثال أبي حنيفة والشافعي والغزالي وابن قيم الجوزية وغيرهم كثيرون، وقد اقتصرنا على المهم في حقوق الأطفال لمقتضى لزوم الإيضاح في هذا الباب من هذه الموسوعة، ولئن تحدثنا عن ما يطالب به البعض من تغيير مناهج التعليم الدراسية في المملكة العربية السعودية في إشارات عابرة، فلعل المقام يستدعي أن نفصل القول عما تذهب إليه تلك الأصوات المطالبة بضرورة تغيير المناهج في بلاد الدولة والدعوة، هذا ما سيجده القارىء في المبحث التالي.

تغيير المناهج الدراسية في المملكة العربية السعودية

لعله من المناسب قبل الحديث عن تغيير المناهج الدراسية والتعليمية في دول العالم الإسلامي عامة والمملكة العربية السعودية خاصة أن نقدم موجزاً عن الأسس التي تقوم عليها مبادئ التعليم في الإسلام وضوابطه الشرعية ، إن عالم اليوم بالرغم من معرفته النسبية بالمادة فإن جهله بالإنسان مطبق ، وتحتم تلك الحقيقة على الدول والشعوب الإسلامية الاتجاه نحو الأسس التي وضعها للإنسان خالقه جل وعلا الذي خلقه في أحسن تقويم الخبير بفطرته وبخصائصه . تلك الأسس التي تشتمل على كل ما يعرفه الإنسان وما لا يعرفه من مذاهب ونظريات وقوانين علمية ، ولقد فات المسلمين الذين يتلفتون يمنة ويسرة باحثين عن أسس تربوية

تهديهم سواء السبيل أن في القرآن الكريم من كنوز المعرفة والحكمة الإلهية أعظم أسس التربية والتعليم ، إنه أول ما يكون كتاب تشريع وتربية وتهذيب وإيمان على وجه العموم ، وكتاب تربية اجتماعية وأخلاقية على وجه الخصوص ، فعبارة (رب العالمين) مثلاً التي نكررها يومياً في سورة الفاتحة في صلاتنا تعني (مربي العالمين)، فاشتقاق (رب) و(مربي) من أصل واحد ، فالله سبحانه وتعالى هو المربي الأعظم لما في الكون، ليس مربي الإنسان فحسب بل مربي الخليقة كلها . وإننا معشر المسلمين لنجد النموذج الحي للتربية الإسلامية في سيرة رسول الله ﷺ الذي قال: « **أدبني ربي فأحسن تأديبي**»[٦٤]، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت : «**كان خلقه القرآن**»[٦٥]، إن القرآن الكريم يشتمل على أسس تربوية شاملة كاملة ، إنه يعالج نشوء الإنسان وطبيعته ونظام المجتمع والهدف الأسمى من تربية الإنسان وخلقه ومهمته في هذه الحياة ، وطرق ووسائل هذه التربية ويبين ما له من حقوق وما عليه من واجبات .

إن الأساليب المتبعة في التربية القرآنية هي آية النفاسة والإعجاز، ففيه أسلوب التربية بالعمل والممارسة وأسلوب التكرار وأسلوب التأثير في النفس وإثارة العواطف وأسلوب استعمال المنطق والمحاكمة العقلية وأسلوب الاستجواب وأسلوب القصة وأسلوب البيان الساحر وأسلوب الوعظ والإرشاد وأسلوب الحِكَمْ والأمثال وأسلوب المثال والقدوة وأسلوب التواصي والنصح المتبادل وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب التوبة والغفران وبيان أحداث التاريخ الماضي وتوضيح حوادث المستقبل، كل ذلك ما هي إلا بعض الأساليب التربوية الفعالة التي نجدها وغيرها مجتمعة في القرآن الكريم التي تؤكد على حفظ التوازن الحقوقي بين الله والعباد وبين العباد بعضهم ببعض، ولهذا نجد الأستاذ الأمريكي بويد هنري بودا **Boyd H. Bode** من جامعة أوهايو الأمريكية وهو أحد زعماء حركة التربية الحديثة الأوائل يتحدث عن سوء نظم التربية وقواعد التعليم في الغرب، وكان أحد الذين كالوا لها النقد فيما بعد، قال بعد أفول الحركة معطياً التفسير لذلك في قوله : « ولأن الحركة التربوية الحديثة

لم تعلن بوضوح عن فلسفة للتربية ، فقد زاد الاعتقاد بأنه ليس لها فلسفة ، وتظهر التربية الحديثة للفرد العادي مهوشة حاوية لكثير من البدع والتفاهات ، تربية تدعي الاتجاه العلمي وفي نفس الوقت تحن للاتجاهات التقليدية فهي تربية تحتقر الماضي ، ومع ذلك فهي غامضة محيرة عندما تتحدث عن المستقبل»[٦٦]. إذن ليست الاتجاهات الجديدة في التربية مجرد تصحيح للاتجاهات التقليدية ولكنها على النقيض تماماً منها ، إنها ترفض الثنائية في طبيعة الإنسان ، ترفض إمكان التفريق بين العقل والسلوك وبين الروح والجسد ، وتنكر أن الإنسان قادر على الوصول إلى الحق الكامل والمعرفة المؤكدة ، بل تنكر وجود هذا الحق وتلك المعرفة . وهي ترفض كل العقائد الراسخة والمطلقات وعموميات القيم واستمرارها ، كما أنها تعطينا تفسيراً جديداً عن مدارك الإرادة الحرة .

وثمة حقيقة قرآنية على درجة كبيرة من الأهمية عن حقيقة التربية والعلم والتعليم في المنهج الإسلامي ، تلك هي أن كلمة (العلم) وردت في القرآن الكريم كمصطلح على (الدين) نفسه الذي علمه أنبياءه عليهم السلام ، عن النواميس التي يسيِّر بها الله ملكوت السموات والأرض وما بينهما، وعلى الحقائق الكبرى الموجودة عند الله سبحانه في (أم الكتاب) ، وكإشارة إلى القيم الدينية التي تنزلت من السماء . ومن ثم يغدو العلم والدين سواء في لغة القرآن الكريم هو شريعة الإسلام في كل جوانب الحياة ومنها التربية والتعليم . إن كلمات الله سبحانه تعلمنا هذه الحقيقة، وتبصرنا بمواقع العلم والدين الفسيحة الممتدة المتداخلة، كما أراد لها الله أن تكون لا كما يريدها لها أصحاب الظن والهوى من الوضعيين . ولا يسعنا هنا استعراض هذه الآيات، ويكفي أن نشير إلى أن كلمة (علم) بتصريفاتها المختلفة واشتقاقاتها المتعددة وردت في عدد من الآيات جاوز السبعمائة والخمسين في القرآن الكريم ومثلها أو زيادة في الحديث النبوي الشريف .

وإنه لأمر بديهي أن تتعانق معطيات القرآن ومعطيات العلم بمفهومه الشامل

وخارج نطاق النسبيات والمتغيرات وتتوازيان ، لا أن تتضادا وتقوم بينهما الحواجز والجدران، ذلك أن مصدر العطاء واحد ، وهو الله جل وعلا موجد السنن والنواميس ومنزل القرآن ، خالق الكون والعالم وباعث الإنسان ، ليس هذا فحسب بل أن الإنسان باعتباره معنياً بوجود هذه السنن ونزول القرآن تشريعاً إلهياً، الإنسان بما أنه خليفة الله في هذا العالم وبه تكون عمارة الأرض وترقيتها مما تؤكده المعطيات القرآنية ، وبما يقود بالضرورة إلى اللقاء الأكيد بين كتاب الله وسننه في العالم، إذ كيف يستطيع الإنسان أن يؤدي دوره في العالم في إطار تعاليم القرآن وشرائعه إن لم يتحرك ابتداء لفهم هذه العالم والكشف عن سننه ونواميسه؟، يقول محمد شهاب الدين الندوي: «إن العلوم الطبيعية والأحيائية (Physical & Biological Sciences) ليست فيها شائبة من الإلحاد والمادية في طبيعتها الأصلية ، إلا ميول واتجاهات من الماديين الذين يريدون أن يخطفوا المعارف الكامنة في طبائع المظاهر الكونية لتحقيق أهدافهم الإلحادية والمادية الزائفة ، فيحاولون استغلال الحقائق الكونية لحسابهم بإكراه بالغ إذ يفسرون الحقائق الكونية كأنها تؤيد النزعات المادية ، فيبنون عليها الفلسفات المادية والإلحادية لإثارة الفتن بين الناس وإضلالهم عن سواء السبيل ، والحق أن هذه الاتجاهات الفكرية لا تؤيد النظريات والفلسفات اللادينية وميولها، بل العلوم الطبيعية ومعارفها لتؤيد الروحية وتناصر أصول الدين الإلهي فإنها ملائمة لجميع قضايا الدين وأهدافه . ولذلك فإن الله دعا البشر إلى أن يتفكروا في الأشياء الكونية ويتفحصوا في أنظمتها عن كثب ، ثم يخرج الدروس والعبر الكامنة فيها إلى حيز الظهور ، لكي تكون حجة على المنكرين بالله تعالى . وإن هذه الكينونات وأنظمتها المحيرة لتدل على وجود الخالق ووحدانيته وربوبيته وقدرته بدلالات واضحة بنفس الاكتشافات العلمية والحقائق الكونية . وإن هذه الأدلة العلمية أو الشهادات الكونية تقضي على النزعات المادية والفلسفات الواهية المزورة دائماً ، قال تعالى : ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾، وقال جل وعلا: ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ »[٦٧] .

وثمة ما يجب أن نشير إليه هنا وهو إن العلم الحديث لم يعد يرفض الحقيقة الدينية أو يشكك فيها ، كما حدث في القرون السابقة ، وهو يعترف بأنه ـ أي العلم ـ ليست لديه الكلمة النهائية في موضوع هو أكبر من حجمه بكثير ، ثم يعود لكي يؤكد ـ بإمكاناته المحدودة ـ أن الحياة البشرية لا تستحق أن تعاش إذا ما نحن جردناها من بعدها الكبير الذي يتجاوز حدود المادة والحركة ، لهذا يعود العلم لكي يتعانق مع الدين ويتوظف لديه ، ذلك هو الانقلاب الكبير الذي شهدته فلسفة العلم المتمخضة عن الكشوف الأخيرة في مجال البحث العلمي ، وبخاصة الطبيعة والذرة وطريقة عمل الدماغ البشري . وهناك مسألة أخرى لا تقل خطورة وهي إن الكشوفات العلمية الأخيرة حطمت جدار المادة ، وأطلت ـ وهي تتوغل في صميم الذرة ـ على عالم الروح الكامن في بنية العالم وتركيب الأشياء ، إن العلم يلتقي هنا مع الدين دائماً والحقائق الدالة على ذلك كثيرة في هذا الشأن ، إذن هل يمكن لأمة أن تتخلى عن حقائق الدين وثوابت العقيدة والشريعة خصوصاً لدينا نحن المسلمون وما بين أيدينا من كنز ثمين كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وكذا كلام رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى .

إن مفردات كتاب القراءة مثلاً في مناهج التعليم الإسلامي الذي يتعلم فيه طلبة الصفوف الأولى الابتدائية كيف يرسمون الحرف وكيف ينطقون به ، إذا جردت تماماً من كلمة (الله) فإن حشوداً من الأطفال ستتلقى منذ اللحظة الأولى أول ضربة مضادة ، لما يمكن أن تكون قد تعلمته في نطاق الأسرة ، أو ربما المجتمع في دوائره الأكبر اتساعاً ، وسيؤدي هذا ولا ريب إلى شرخ غائر في نفسية الطفل وسلوكه قد يصعب التئامه فيما بعد ، وبالمقابل فإن كلمة (الله) في كتاب أولي كهذا ستعمق الحس الإيماني في وجدان الأطفال ، وسوف تقودهم صوب مزيد من الانسجام بين مكونات فطرتهم الأصلية وما يتعلمونه في البيت والمجتمع ، وبين

ما يتلقونه في المدرسة ، وبين المفردات المعرفية التي يلقّنونها هنا وهناك والواقع الذي يعيشونه بعقولهم وأرواحهم ووجدانهم وهذا بالطبع يؤكد العلاقة الحقوقية بين الله وعباده وبين العباد بعضهم البعض ، وما يقال عن كتاب أولي كالقراءة يمكن أن يقال عن كتاب أولي مثل التاريخ والجغرافيا والأحياء والفيزياء والصحة ... إلخ . وهناك مسألة أخرى ترتبط بالضرورة الإنسانية والإسلامية في التربية والتعليم ، تلك هي أن النشاط المعرفي الذي لا ينبثق عن مطالب الإيمان يندفع باتجاه إغراءات القوة والتسلط ونداء الأثرة العرقية والقومية والمذهبية ويمضى أبعد من هذا باتجاه كل ما هو غير أخلاقي في السلوك البشري لكي يحوِّل المنجزات والكشوفات العلمية إلى سلاح يشهر في وجه الإنسان وليس لصالح الإنسان، إن إنتاج القنابل الذرية والهيدروجينية والنيترونية ، واستعمالها في اللحظات الصعبة كما حدث في هيروشيما وناجازاكي ليؤشر بشكل واضح على الكارثة التي يمكن أن يساق إليها الإنسان والبشرية إذا أتيح للمعرفة أن تظل على جموحها وخروجها عن مطالب الإيمان العليا، وعدم انضباطها بالقيم والموازين الإلهية العادلة والمبادئ الحقوقية السامية التي تجعل القوة والحكمة ــ دوماً ــ في كفتي ميزان . إذا تذكرنا هذا كله عرفنا ــ يقيناً ــ أن المسألة لا تقف عند المسائل الإجرائية وإنما تمضي قدماً ، بأكثر من صيغة في التعامل لجعل النشاط العلمي الصرف يتحرك في دائرة الكفر أو الإيمان .

إذن تلك هي أبعاد مسؤولية التربية والتعليم في الإسلام في النمو المتكامل بين الإيمان والعمل وبين الإيمان والعلم فمسؤوليتها ليست كالمدرسة التقليدية التي حصرت نفسها داخل إطار النمو العقلي ففشلت ، وهي ليست كالمدرسة الحديثة التي ادعت تحمل المسؤولية كاملة فناءت بما تحمل ولمس الآباء ورجال الفكر والقلم عجزها عن النهوض بما كانت تدعيه ، إن المدرسة التي تقوم على أساس من أسس التربية في القرآن لا تبالغ ولا تتطرف ولا تدعي القدرة على تحمل ما لا طاقة لها به ، وعن هذا الأمر يعلق التربوي السعودي الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع عما آلت

إليه التربية الحديثة في الوقت الراهن فيقول: « ويقف المربون اليوم عند مفترق الطرق، ويتطلعون من حولهم فلا يجدون قادة أو زعماء لهم كما كان الحال منذ أربعين عاماً، ويبدو أن التفكير في مشاكل قبول الأعداد الضخمة المتزايدة من التلاميذ بالمدارس، والنقص في عدد المدرسين وفي المباني المدرسية قد طغى في أغلب بلاد العالم على التفكير التربوي، حتى أصبحت أهداف التربية أقل وضوحاً مما كانت عليه من ثلاثين أو أربعين سنة، ويذكرنا هذا الموقف بقصة الطيار الذي قال لركاب طائرته إنه فقد طريقه ولا يعرف أين هو على الخريطة ، وقال : إن جهاز الرادار معطل ولا يستطيع جهاز اللاسلكي التقاط الإشارات، بل إن البوصلة قد كسرت، ثم أضاف الطيار قائلاً للركاب مشجعاً : ولكن اطمئنوا فسوف نصل في الميعاد»[٦٨] .

لهذا يجب أن تكون مناهج التعليم في بلاد المسلمين مستمدة من تعاليم الإسلام سواء كانت مناهج دينية أو طبيعية أو كونية أو غيرها من المواد التي تدرس في بلاد المسلمين ، وألا يفصل الدين عن الحياة في شتى المجالات ، ويرى علماء الإسلام ويجمعون على أن العلم المطلوب في ميزان الشرع الإسلامي نوعان :

١ــ نوع فرض عين : أي ما يطلب تعليمه وجوباً من كل فرد مكلف ولا يعذر أحد في الجهل به ، وهو ما يحتاج إليه الإنسان في إقامة دينه وقبول عمله عند الله تعالى، واستقامة معاملته ومعاشرته للناس ويدخل تحت هذا كله: تعلم أحكام العبادات، وتعلم أحكام المعاملات لمن يمارسها من أهل الحرف والصناعات لمعرفة الحقوق والواجبات بما هو لله وما هو لعباد الله .

٢ــ نوع فرض كفاية : وهو كل ما يحتاج إليه المجتمع من غير نظر إلى شخص بذاته، كتعلم الصناعات التي يحتاج إليها الناس وتعلم المهن التي لابد للناس عنها، من خياطة وحياكة وطب وزراعة وغيرها على قدر ما يحتاجون إليه ، فإن لم يكن فيهم من يتعلم ذلك كانوا آثمين جميعاً، وقد أصاب الإمام الغزالي رحمه الله في قوله : « أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغن عنه في

قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها ، وهذه العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها أثم أهل البلد ، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين»[٦٩] ، وقال ابن عابدين: « وأما فرض الكفاية من العلم . فهو كل علم لا يستغن عنه في قوام أمور الدنيا، كالطب والحساب، واللغة، وأصول الصناعات، كالفلاحة والحياكة ، والسياسة»[٧٠]، وأجمل الشيخ حسن محمد المشاط المسألة بقوله : « أما إن علم ما يجب عليه كما رسمنا لك ولكن كان اتجاهه بعد لغير العلم فلا بأس أن تتوجه به التوجه اللائق الذي يتطلبه بما هيأه الله له كالصناعات وما أكثرها وغيرها من الأسباب الكثيرة المشروعة التي تأتي نتائجها عليه وعلى الأمة بالخير الكثير ولا تتنافى مع ديننا الإسلامي لأن ديننا دين سمح يتطلب ذلك وقد عد الحرف والصنائع ونحو ذلك من أوجه الكسب من فروض الكفاية على الأمة التي تأثم الأمة جميعها إذا هي أهملته فمن الناس من يصلح لأن يكون عالماً أو واعظاً ومرشداً ومنهم من يصلح لغير ذلك وهبات الله تعالى موزعة على الناس توزيعاً عادلاً بحسب ما جعله الله تعالى فيهم من القدرة وخلقه من التهيؤ والاستعداد »[٧١] .

لهذا يجب أن تتشكل جميع العلوم الكفائية في دائرة القواعد الإسلامية وأن تستمد مناهجها وطرائق عملها منها ، بل أن تبني مفرداتها من نسيج المعطيات الدينية التي حددها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، ونماها النشاط الفقهي بمرور الزمن عن طريق استجابته للتحديات ومتابعته للمتغيرات الزمنية والمكانية ، وذلك من أجل أن تصبح الحياة البشرية بمختلف أنشطتها وصيغها إسلامية التوجه ، إسلامية الممارسة ، إسلامية المفردات ، ويتم بذلك تجاوز كل ما من شأنه أن يقود إلى الثنائية أو الازدواج بين التوجيه الإلهي ذي العلم المطلق وبين اجتهادات الإنسان النسبية المتضاربة ، لأن ضبط فروع العلم والمعرفة بقواعد الإسلام لا يعني

فقط الدعوة لتحقيق الوفاق بين معطيات العلوم الإنسانية وبين المطالب الدينية على مستوى التطبيق ، وإنما تعني قبل هذا وبعده احتواء كافة الأنشطة المعرفية الإنسانية على المستويين النظري والتطبيقي معاً من أجل جعلها تتحقق في دائرة القناعات الإيمانية وتتشكل وفق مطالبها وتصوراتها الشاملة أسوة بالعلوم الأخرى .

وكلامنا عن أهمية ربط العلوم المختلفة بقواعد الإسلام عقيدة وشريعة لا يأتي من بعد عاطفي أو حديث غير واضح المعالم ، ولكن مما أكده بعض المستشرقين نافين أي تهمة عن الإسلام وكتابه المجيد وما فيه من الحق واليقين وصلاحه لأمور الدين والدنيا في الاجتماع والعمران والاقتصاد والسياسة والحقوق والتربية والتعليم ... إلخ ، يقول ريتشارد وود : « إن كثيراً من المستشرقين يزعمون أن المسلمين لن يتقدموا ما داموا مقيدين بنصوص القرآن التي لا تتلاءم ـ بزعمهم ـ مع المعارف والفنون الحديثة ، إن القرآن يتضمن أحكام الدين وفي الوقت نفسه يتضمن الأمور المدنية والشؤون السياسية»[٧٢] ، وخير رد على ما يقال من أن القرآن الكريم كان مقصوراً على حالات العرب الساذجة قول الدكتور سلمان بنوا الفرنسي : « إن نصوص بعض آي الكتاب الموحى به إلى محمد منذ ما يزيد على ثلاثة عشر قرناً تتناسب وأحداث مبادئ العلوم العصرية ـ وكان من جراء هذه الملاحظات أن آمنت نهائياً»[٧٣]، ويقول الكونت إدوارد كيوجا : «إن القرآن يتضمن بين دفتيه كل ما تحتاج إليه الإنسانية. في ارتقائها وكمالها المعنوي»[٧٤]. ويقول الدكتور رتين : «إن دين محمد قد أكد منذ الساعة الأولى لظهوره. أنه دين عام يصلح لكل جنس وصنف، ولكل عقل وعصر ولكل درجة من درجات الحضارة»[٧٥] .

وبعد فقد أوردنا هذه الشهادات والاعترافات من مؤلفات بعض المستشرقين لنكون أبلغ حجة وأسلم موقف تجاه أباطيل زملائهم ومفترياتهم على الإسلام والقول بأن الإسلام جاء بتعاليم محدودة تتفق مع حالة العرب الأولى الساذجة بقصد تغيير المناهج نحو الباطل والشر والفساد ، فهل نعود لتعود أيامنا ؟ فلن

يصلح آخرنا إلا بما صلح به أولنا ، نرجوا هذا أن يكون في جميع جوانب حياتنا وليس في مناهج التربية والتعليم فحسب ، إن تقليد العلم الغربي أو استيراده بعجره وبجره لا ينشئ حضارة ، أو يعيد بناءها بعد تفككها ودمارها ، إن هذا يصنع في أفضل حالات نجاحه عالماً ثالثاً يدور في فلك حضارة الغير ، قد يتقدم في سلم المدنية المادية لكنه على المستوى الحضاري لا يملك خرائطه الثابتة المتميزة على سطح الكرة الأرضية ، إن اليابان والصين مثلاً إذ قدرتا على تجاوز المرور في هذه القناة الضيقة ، خرجتا من معركة التحدي وهما أكثر أصالة وتحضراً ، وهما تملكان في عالمنا المعاصر ثقلهما وحضورهما وتميزهما الملحوظ . ولكن ماذا حدث بالنسبة لتركيا الكمالية سوى أنها أصبحت حتى في منظور الغربيين أنفسهم مثلاً يضرب للتندر على أولئك الذين يحاولون اللحاق بالغير والتفوق عليه ، وهم يتعاطون الكيدية منه ، ويقلدونه صباح مساء متنازلين عن كل ما له مساس بشخصيتهم وأصولهم الحضارية .

والخلاصة فإن تشكيل مناهج التعليم بالروح الإسلامية كما أوضحناه يبدو ضرورة بالغة لأنها ستتجاوز بمسلمي اليوم والغد إحدى اثنتين قد تأتيان عليهما كأمة متميزة، أما الذوبان في الغير، أو العزلة الكلية عن الاستفادة من تقدمه وحضارته .

ولعلنا نختم هذا المبحث بالقول إن الهدف من تغيير المناهج والمقررات المدرسية في دول العالم الإسلامي عموماً والمملكة العربية السعودية خصوصاً مما تطالب به قوى الشر والعدوان له أهداف تنصيرية صهيونية وغزو تغريبي ثقافي يستند على إنكار حقوق المسلمين الدينية والثقافية والحضارية ، وإليك هذه الأقوال بما صرح به بعض القساوسة في الغرب ، فقد قال القس زويمر رئيس إرساليات التبشير المشهور : « إن كل مهمتنا نحن المبشرين أن نخرج المسلمين من الإسلام وأن نجعلهم ذلولين لتعليمنا ونفوذنا وأفكارنا ، ولقد نجحنا في هذا نجاحاً كاملاً فكل من تخرج من مدارسنا خرج من الإسلام ـ وإن لم يخرج بالاسم ـ وأصبح

عوناً لنا دون أن يشعر وأصبح مأموناً علينا ولا خطر علينا منه ، ولقد نجحنا نجاحاً منقطع النظير»[٧٦] ، وقال أحد القساوسة الفرنسيين : «إن مقاومة الإسلام بالقوة لا تزيده إلا انتشاراً فالواسطة الفعالة الهدامة في تقويض بنائه هي تربية بني الإسلام في المدارس بإلقاء بذور الشك في نفوسهم من عهد التنشئة لتفسد عقائدهم من حيث لا يشعرون»[٧٧] ، كما قال المبشر ثكلى : «يجب أن نشجع المدارس وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي ، إذ الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد في كتاب مقدس شرقي أمراً صعباً جداً ، وإن كثيرين من المسلمين قد تم تزعزع اعتقادهم بهذا السبيل»[٧٨] ، وعلى هذا الأمر علق الشيخ حسن محمد المشاط بقوله : « والله سبحانه وتعالى حذر عباده من السير في ركاب أعداء الإسلام ، فقال تعالى : ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون** ﴾ ، وقال رسول الله ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم وإياكم أن يفتنوكم ويضلوكم**» ، وقوله عليه الصلاة والسلام وهو الرؤوف الرحيم بأمته : «**سيكون في آخر الزمان أقوام حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**» إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية التي تتضمن فتن آخر الزمان وأشراط الساعة والتحذير منها ، وبذلك تعلم مقدار شفقة هذا النبي الكريم على أمته فكأنه عليه الصلاة والسلام مع أهل كل زمان حاضر يحاضرهم وينصحهم ويبشرهم ويحذرهم فجزاه الله تعالى عنا وعن الأمة خير الجزاء»[٧٩] .

إن تطوير المناهج المدرسية وإعادة كتابة وتأليف المقررات والكتب الدراسية مبدأ مشروع ومستساغ لأن كل حادث متطور ويتغير وهذا ما قامت به وزارة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية عندما اعتمدت إثنين وثلاثين مقرراً دراسياً مطوراً بدء من العام الدراسي ١٤٢٥ــ ١٤٢٦هـ مما ذكرته صحيفة عكاظ

في عددها ١٣٨٥٨ في ١٤٢٥/٦/١٩هـ ، إذن فالتطوير مقبول ولكن التغيير لعله غير ممكن مما هو متصل بثوابت الدين الإسلامي وفضائل الأخلاق وآداب السلوك والحقوق والواجبات بما يحفظ حقوق الإنسان فلكل أمة شرعة ومنهاجا، والحديث عن التغيير في المناهج الدراسية كان يعتمد على أكبر طَلَب طلبه الكفار من النبي محمد ﷺ عندما طلبوا تغيير القرآن وحي الله وكلامه مما ذكره المولى جل وعلا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٨٠]، فإذا تغير ما في القرآن من أحكام إسلامية وإنسانية ضاع ميراث الأمة الإسلامية وضاعت كافة الحقوق للمسلمين وغير المسلمين مما حفظته شريعة الإسلام وما ذكرنا الكثير عنها في ثنايا هذه الموسوعة من مبادئ حقوقية إنسانية، يقول المفكر البريطاني الدكتور م.ح. دوراني M.H. Durrani: « وعلى صعيد القانون ، في مجال العدل والإنسانية ، وفي مجال الحكمة والشفقة، فإن قانون الإسلام لا مثيل له بين أديان العالم ، فهو يحدد واجبات الفرد تجاه أقاربه وذويه وجيرانه وعائلته وتجاه المجتمع والأمة التي ينتمي إليها. والقانون في الإسلام واسع اتساعاً لا سبيل معه إلى شرحه في بضعة سطور. وسأكتفي بإبراز صفتين من صفاته تحققان الغرض المطلوب في هذه العجالة. فالدعامة الأولى للقانون الإسلامي تتمثل في أنه يقوم على أساس من المساواة والضمير الحي وليس على أي اعتبارات عقلية غريبة عليه. وهذا يعني تناسبه وانسجامه مع تغير الزمان وصلاحيته لكل وقت. وهذه صفة كانت فيه وبذلك فهو جديد وحديث لا يبلى بمرور الزمان ولا يمكن أن يصبح قديماً أو أن يعفى عليه الدهر . وأما الصفة الثانية فهي أن القانون الإسلامي لا يقيم وزناً للأشخاص والذوات الشخصية، ولا يعترف بأية امتيازات أو طبقات أو تمييز بسبب المولد أو الغنى أو المكانة. فالملك والفلاح والسائل والعريض الثراء، كل هؤلاء يقفون على قدم المساواة أمام القانون الإسلامي. وهنا أيضاً لا يوجد أي قانون حتى في القرن العشرين يمكن أن يضاهي القانون

الإسلامي . فهناك مئات الشواهد التي يزخر بها التاريخ الإسلامي والتي تذكر لنا كيف كان الملوك المسلمون يأتون مذعنين لأوامر القضاة، والوقوف مع خصومهم جنباً إلى جنب للدفاع عن أنفسهم في قضايا شتى، حتى أن النبي الكريم نفسه ﷺ أعلنها ذات مرة بقوله : **«لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »** [٨١]، هذه الخصائص أدركها كثير من غير المسلمين العقلاء المنصفين الذين لا يسعون إلى فرض مبادئهم المخالفة للإسلام وللإنسانية كما أوضح ذلك المفكر الفرنسي ديفيد دي سانتيلا بقوله : « وعبثاً نحاول أن نجد أصولاً واحدة تلتقي فيها الشريعتان الشرقية والغربية (الإسلامية والرومانية) كما استقر الرأي على ذلك . إن الشريعة الإسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادئ الثابتة لا يمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا لأنها شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلاً . فلما كان الشرع الإسلامي يستهدف مصلحة المجموع ، فهو بجوهره شريعة تطويرية غير جامدة خلافاً لشريعتنا من بعض الوجوه، ثم إنها علم ما دامت تعتمد على المنطق الجدلي، وتستند إلى اللغة، إنها ليست جامدة، ولا تستند إلى مجرد العرف والعادة، ومدارسها الفقهية العظيمة تتفق كلها على هذا الرأي . فيقول أتباع المذهب الحنفي أن القاعدة القانونية ليست بالشيء الجامد الذي لا يقبل التغيير . إنها لا تشبه قواعد النحو والمنطق . ففيها يتمثل كل ما يحدث في المجتمع بصورة عامة، إن المنفعة هي مبدأ الفقهاء المشرعين ، ولقد أدرك العرب بوضوح تام سر هذه المرونة وهو الاستعمال بلا ريب، إن هذا التفاعل المستمر (الفقه) في الحياة يمكن تتبعه في مسالك التاريخ الإسلامي»[٨٢].

ولا نريد أن نطيل في إيراد الشواهد والأقوال لدحض آراء المبطلين والمرجفين من غير المسلمين المعتدين ومن المسلمين المثبطين الذين يخدعوا بسهولة وبسرعة عند وقوع حدث ما فتتسارع إليه وسائل الإعلام والاتصال المغرضة إلى وصم الإسلام بالإرهاب وأساسه مناهج التعليم وضرورة تغييرها، إنني أقول لهؤلاء إن

مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية هي التي نشأ وتعلم على أساسها ملوك وأمراء البلاد ومن فيهم من الوزراء والموظفين والموظفات والمعلمين والمعلمات ومنهم السفير في دول الغرب والشرق فمتى كانت هذه المناهج مصدراً لتعليم الإرهاب؟

وأتساءل ما هي المناهج المطلوب تغييرها ؟ هل المقصود تغيير مناهج مواد العلوم الطبيعية (الكيمياء، الأحياء، الفيزياء ... إلخ)، لأن المناهج السعودية تعلم الطالب تركيب الماء (HO) على خلاف ما هو موجود في غيرها من المناهج، أم المطلوب تغيير مناهج علوم الرياضيات (الحساب، الهندسة ... إلخ)، لأن المناهج السعودية تعلم الطالب أن المربع له ثلاثة أضلاع والمثلث له أربعة أضلاع على وجه يغاير ما هو موجود في مناهج الدول الأخرى، أم أن الدعوة هي تغيير مناهج العلوم الاجتماعية (التاريخ والجغرافيا ... إلخ) والتي يتعلم الطالب السعودي من خلالها أن البرازيل تقع في قارة آسيا، على نحو يختلف عما هو موجود في المناهج غير السعودية، هل التغيير سيكون لمناهج المواد الفنية في الرسم والأشغال ؟ هل التغيير سيكون في مناهج النحو والصرف العربي ومبادئ الخط العربي والإملاء والفنون الأدبية ؟

إذا كان التغيير لا يشمل تلك المناهج لأنه لا مجال لتغيير الحقائق فالمربع له أربعة أضلاع وليس ثلاثة ومكونات الماء هي ذرتين أكسجين وذرة هيدروجين ومواقع الدول على خارطة العالم لا تتبدل ولا تتغير فما هي المناهج المراد تغييرها ؟ لم يبق إذن إلا تغيير مناهج العلوم الإسلامية: (القرآن، التجويد، التوحيد، الفقه، الحديث، التفسير) ومناهج التاريخ الإسلامي، ومعلوم بالضرورة أن مضامين مقررات هذه المناهج هي آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ وهكذا إذن يعيد التاريخ نفسه عندما طلب الكفار من الرسول ﷺ أن يأتيهم بقرآن غير الذي أوحى به الله جل وعلا إليه ﷺ كما ورد في القرآن، قال تعالى : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[٨٣]، والمطالبون بالتغيير في المناهج هم الباغضون والمعادون لحقوق الإنسان أصلاً والكارهون للحق في ثبات الشريعة الإسلامية تبعاً للتي تحدث عنها

الباحث والمفكر البريطاني إدوارد جيبون **Edward Gibbon** حيث قال : «إن ما يثير دهشتنا هو ثبات الإسلام لا انتشاره، فإن نفس الطابع النقي الكامل الذي كان له في مكة والمدينة، ما زالت تجيش به صدور المسلمين في الهند وأفريقيا وتركيا »[٨٤]، ويدرك هذه الخصائص والفرق بين الإسلام وغيره من الأديان أستاذ الدراسات العربية والشرقية البريطاني روم لاندو **R. Landu** الذي قال : « الإسلام في أساسه دين عملي، فالقواعد والأنظمة التي ينص عليها القرآن ليست جامدة ، ولقد كُيّفتَ وفقاً لما قضت به الأحوال والظروف، وهذه السياسة إنما يؤديها كثير من المسلمين عندما يستشهدون بالآية القرآنية التي مفادها أن الله يريد أن ييسر السبيل للناس، إن المسلم ليجد أن في ميسوره التزام أحكام دينه، وهكذا ينعم بالأمن وطمأنينة النفس، لكن هدف النصرانية الممعن في الروحية ، ذلك الهدف الذي هو الانتصار على ضعف الجسد يكاد يكون متعذر التحقيق في هذه الحياة ، ولولا رحمة الله إذاً لكان خليقاً بحياة المسيحية أن تكون سلسلة من ضروب الإخفاق والخيبة التي لا سبيل للتغلب عليها . إن في إمكان المسلم أن يبلغ مثل دينه الأعلى هنا على سطح الأرض، ولكن النصراني يتطلع إلى الاتحاد بالمسيح عليه السلام في المستقبل بوصفه غاية الغايات في حياته الدينية»[٨٥]، إذن تغيير المناهج للمواد الشرعية الإسلامية وتاريخ الإسلام قد يسبب للمسلمين لعنة الله وغضبه الذي عبر عنها لاندو بأن النصارى لولا رحمة الله ولطفه لكان مآلهم الإخفاق والخيبة وذلك يدخل في حكم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويشترون بآيات الله ثمناً قليلاً عندما يطيعون ساداتهم وكبراءهم.

وحتى نصل إلى حقيقة المطالبة بتغيير مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية من خلال مفاهيم حقوق الإنسان وما ورد في الصكوك الدولية أطرح العديد من التساؤلات :

١ ــ أليس إعداد مناهج التعليم وتأليف المقررات شأن من الشؤون الداخلية

لكل بلد بحكم السيادة وتقرير المصير كما هو متضمن في الإعلان الخاص بمنح الاستقلال للبلدان المستعمرة والشعوب المستعمرة الذي أصدرته الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في ١٤/١٢/١٩٦٠م بالقرار رقم ١٥١٤د ـ ١٥، وتنص المادة الثالثة منه على سيادة الدولة في الميدان التعليمي، هذا في حق الدول التي استعمرت واستقلت فما بالك بالدولة المستقلة أصلاً، هل ذلك الإعلان نظرية غير قابلة للتطبيق؟ أم أنه دعاية للاستهلاك الإعلامي؟ أم أن أولي الاستكبار حل من ذلك ولهم أن يملوا ما يشاؤون على من يشاؤون؟

٢ ـ إن المملكة العربية السعودية لم تتدخل في شأن من شؤون الدول الداخلية حتى الدول العربية والإسلامية، بل إنها سمحت للجاليات المقيمة في المملكة العربية السعودية إقامة مؤقتة أن تنشئ مدارس لأبنائها في آن واحد ويكون لها الحرية التامة في تخطيط مناهجها وإعداد مقرراتها دون تدخل أو أدنى طلب يتمثل ولو في تدريس أبناء تلك الجاليات تاريخ المملكة العربية السعودية، ولم يحصل أن طلبت المملكة من مدارس الجاليات تغيير مناهجها إطلاقاً ، إن معيار الكيل بكيلين يظهر عند تطبيق حقوق الإنسان حين يطلب من المملكة تغيير مناهجها، ولا يخفى أن ذلك نوع من التمييز في التعليم مخالف للاتفاقية الدولية الخاصة بعدم التمييز في التعليم التي اعتمدها المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة في ١٤/١٢/١٩٦٠م وألحق بها بروتوكول تسوية الخلافات حول مكافحة التمييز في التعليم الذي صدر في ١٠/١٢/١٩٦٢م، بهذه الاتفاقية لا يحق للمملكة العربية السعودية أن تفرض نوع من التعليم على المقيمين على أراضيها وإن كان لها السيادة على بلدها ، وليس لها الحق في حرمان أي شخص من تلقي التعليم المناسب له حسب أنظمة بلاده، ويأتي ذلك من تعاليم الإسلام التي لا تكره أحداً على شيء خصوصاً الدين والعقيدة، فالدين أكبر ضميمة للإنسان قبل العلم، فإذا كان لا إكراه في الدين فلا إكراه في العلم. والمملكة العربية السعودية كما تحب ألا تكره أحداً على

علم أو منهاج دراسي فهي لا تحب أن يكرهها أحد على مناهج لا تتوافق مع شريعة الإسلام، لأن الإسلام يتسم بالعالمية والشمول في إنسانيته بين جميع البشر، يقول أستاذ الفلسفة والأخلاق في قسم الأديان بكلية ووستر في ولاية أوهايو بأمريكا الدكتور الأمريكي هارولد ب سمث **Harold B. Smith** : «إن في التصور الإسلامي للإنسان اتجاهاً جمعياً، فإدراك الإنسان أنه ينتمي إلى كل أكبر ، وارتباطه بغيره ممن ينتمون إلى نفس الجماعة التي تؤمن إيمانه، يهيئان للحياة الفردية وضعاً اجتماعياً ليس له في الغالب وجود في الغرب الذي ينزع إلى الفردية، فالأخوة في الإسلام تهب قوة، وأمناً ومجالاً من الوعي المشترك قد ينتج عنها ذلك النوع من الترابط الذي يتجاوز حدود الأوطان والأجناس والذي يعمل الناس متلهفين في سبيل تحقيقه في سائر بلاد العالم»[٨٦].

٣ ـ وإذا كان الدين هو حق من جملة الحقوق التي تضمنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وجاء ذكره بصورة مجملة في المادة الثانية من الإعلان وجاء تفصيله في المادة الثامنة عشرة من الإعلان وفيها : « لكل شخص حق في حرية الفكر والوجدان والدين » ، إذن لماذا يطالب البعض بتغيير مناهج التعليم الإسلامية ويحرم الناس في المملكة العربية السعودية من حقهم في حرية الدين الذي لم تحرِّمه المملكة لأحد قدم إلى العمل فيها بعقود مجزية ولم يتضمن عقداً من العقود شرط تغيير الدين كما نُطالب نحن في المملكة بتغيير مناهج التعليم الإسلامية ؟

ثم إذ اتضح من مقدمة هذا المبحث أن المطالبة بتغيير المناهج لا يتضمن سوى المناهج الإسلامية، لعلنا نجادل بالتي هي أحسن لماذا كان الخيار هو الإسلام للمسلمين في الماضي والحاضر في جميع أنحاء العالم، إنه ليس من السهل تغيير المناهج الإسلامية لأنه تغيير للفطرة ، فما هو الإسلام المراد تغييره ؟ الإسلام دين الشمول لم يقتصر على العقائد والعبادات بل شمل جميع نظم الحياة بشتى مرافقها عندما وضع قواعد عامة لجميع جوانب الحياة ومتطلباتها تدور على أصلين هما : جلب المنافع ، ودرء

المفاسد، فما من منفعة إلا ودعا إليها وما من مفسدة إلا ونهى عنها وشرح بجانبها ما يتممها ويصونها ، من توثيق العقود والحث على الوفاء والصدق، والتحذير من الغش والكذب، هذا ما يجلب المنافع، أما ما فيه درء المفاسد بالضروريات، أي ما تقتضي الضرورة حفظه ، وما حفظها إلا ضرورة للإنسان في الحياة وعددها خمسة :

أ ـ النفس، لأنها كيان الإنسان وعمار الكون ، فحرم القتل وشرع القصاص من القاتل والمعتدي .

ب ـ الدين، لأنه عقيدة ومبدأ يقوم عليه كيان الأمة ووحدتها ، فحرم الردة والزندقة والإلحاد وأوجب قتل المرتد إن لم يرجع كما يقتل المذنب المتهم بالخيانة العظمى.

جـ ـ العقل، لأنه قوام الإنسان وخصوصيته من الحيوان ، فحرم كل مسكر وأقام الحد على شارب الخمر ومدمن المسكرات والمخدرات.

د ـ المال ، لأنه عصب الحياة وقوامها فحرم أكل أموال الناس بالباطل ، سواء في الظاهر كالغصب والسلب والنهب، أو الباطن كالاختلاس والسرقة وقرر قطع يد السارق حداً .

هـ ـ العرض ، وهو إطار الفضيلة الذي يعيش فيه الإنسان ، ومساسه مساس لكرامته فحرم القذف وأمر بحد القذف، ومنه النسب لأنه عقد نظام الأمة وتكوين الأسرة والمجتمع ، فحرم الزنا وأمر بحد الزاني وحرم انتساب الإنسان لغير أهله ولعن من فعل ذلك .

وكما شرع الإسلام تتميمات ما سبق، شرع أيضًا تتميمات هذه الضروريات زيادة في صيانتها والحفاظ عليها، فمن صيانة العقائد حرم البدع وزجر المبتدع ، ومن صيانة النفس وسمعتها حرم كل اعتداء يسيء إلى سمعتها وجعل التعزير فيما لا حد فيه ، ومن صيانة العقل حرم قليل المسكر سداً للذريعة ولو لم يقع به سكر يقيناً، ومن تتمة صيانة المال حرم الربا وكل تحيُّل على أموال الناس وكل كسب غير مشروع في مقابل عوض له، ومن تتمه صيانة الأنساب حرم الخلوة بالأجنبيات

وحرم الزنا وأوجب العدة استبراءً للرحم ولو كانت المرأة صغيرة أو يائسة، ومن تتمة صيانة الأعراض حرّم الغمز واللمز والسخرية. ولا شك أن ديناً هذه مبادؤه يكون عظيما ويضمن لنفسه البقاء والخلود ويقوي مسايرة الإنسان طيلة الأزمان في كل مكان ، قال الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[٨٧]. لقد جاء الدين الإسلامي ليكون خاتمة الأديان وختمه إياها أمر طبيعي ونتيجة حتمية لواقع بقية الأديان التي كانت من قبله . وكان أشهرها اليهودية والنصرانية ، وكلاهما قد طرأ عليه التغيير والتبديل تبعًا لأهواء المسيطرين وانسياقًا وراء الحطام الفاني وحفاظًا على السلطان الزائف . فكانوا كما أخبر الله عنهم : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾[٨٨]. وكانوا يشترون به ثمنًا قليلاً كما قال تعالى عنهم : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[٨٩].

ولقد غير اليهود كتابهم وخاصة من الجانب الروحي والالتزامي فغلب عليهم الجانب المادي فأصبح خلواً من المعاني الروحية ومنساقاً إلى التسابق المادي بقلوب جوفاء كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾[٩٠]، جماد لا روح فيها، ثم جاء عيسى عليه السلام بتعاليم إنسانية ووصايا أخلاقية ومعان روحية تغذي تلك القلوب وتبل صداها فكان تكملة لما بقي من توراة موسى عليه السلام، فأخذ الحواريون بما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام وتركوا ما بقي من تحريف اليهود في كتابهم، ومن هنا حصل الانقسام الفكري، فاليهود رفضوا أخذ ما جاء به عيسى وهو الجانب الروحي، والنصارى رفضوا أخذ ما بقي من تحريف اليهود وهو الجانب المادي ، وكان كل قسم يكمل الآخر فوقع النقص على الجميع. ثم ظل اليهود في نقصهم ماديين إلى أبعاد حدود المادية فأفسدوا غيرهم بتلك المادية، وحاول النصارى استكمال شأنهم فوضعوا لأنفسهم ما يحتاجون من الأنظمة ولا يزالون يزيدون وينقصون ويغيرون ويبدلون حسب ما تمليه عليهم حياتهم ، فما أخذوا به

اليوم تركوه في الغد وهكذا فأرادوا أن يسير غيرهم في ركاب التغيير والتبديل ومن ذلك ما اجتمع عليه اليهود والنصارى يطالبون أمة الإسلام بترك الشريعة الإسلامية وتغيير مناهج التعليم وتغيير شريعة القضاء والتقاضي .. إلخ، وبسبب الانقسام عند اليهود والنصارى سارت كل أمة في طريق مغاير للآخر فضلت وضللت الأخرى كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾[٩١].

وبالنظر إلى مقالة كل طائفة في الأخرى نجدهما بين أمرين ، إما صادقتين وإمّا كاذبتين ولا ثالث لهما، فإن كانتا صادقتين فليست واحدة منهما على شيء، فلا تصلح واحدة منهما للاتباع ولا تستطيع البقاء، وإن كانتا كاذبتين فالكذب يكفي لإسقاطهما وعدم اعتبارهما، وبهما معاً يتم الحكم عليهما بعدم الصلاحية، ومن ثم جاء الدين الإسلامي الذي يصلح للعالم بما أرسل به النبي الخاتم ﷺ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٩٢]، أي بالدين الثابت والقول الصادق وذلك مقابلٌ لقولهم في بعضهم ليست على شيء، ولو افترض أنهما على حق أو أحد منهما هي التي على حق وكان يمكن اتباعها ، لقيل لا يمكن أيضًا اتباع واحدة منهما دون الأخرى، كما بين القرآن الكريم حالة كلتا الطائفتين في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾[٩٣]، إذ يمتنع عقلاً وشرعاً وفعلاً اتباع الرسول لواحدة منهما وهو يريد الخير للجميع ومبعثه رحمة للعالمين ، فاليهود لن يرضوا عنه إلا باتباعه دينهم وذلك يغضب النصارى عليه، والنصارى أيضًا لن ترضى عنه إلا باتباعه دينهم وذلك يغضب اليهود عليه. ومن هنا لا يستطيع أن يتبع واحدة منهما وبالتالي لا يستطيع اتباعهما معاً .

إذن لابد أن يكون له دين مستقل يفوقهما ، مبناه على التراحم والتآلف لا

مكان للأنانية ولا مجال للشخصية فيه ، وهذا ما ترجم الله لرسوله ﷺ بقوله جل وعلا : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٩٤]، هدف الإسلام هو توحيد الدين للبشر، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٩٥]. وتوحيد دين البشر للناس هو ما وصى إبراهيم به بنيه ، وعمل يعقوب عليه السلام بالوصية فوصى أبناءه بذلك كما قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٩٦]، لهذه الأسباب وهذه الدواعي يطالب أعداء الإسلام بتغيير مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية حسداً من عند أنفسهم وكرهاً للإسلام وأهله.

٤ ــ إن الصكوك والمواثيق الدولية وما تضمنته من مبادئ حقوقية تؤكد على كرامة الإنسان، وأن جميع الناس أحرار ومتساوون في الكرامة والحقوق وأن عليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء، هذه المعاني وردت في المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وهذا ما تنطوي عليه مواد المناهج الإسلامية في المملكة العربية السعودية، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[٩٧]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٩٨]، وقال رسول الله ﷺ : « **لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى**»[٩٩]، وقال ﷺ : « **الناس سواسية كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية ، والمرء يكثر بإخوانه، ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له عليك، استكثروا بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء**»[١٠٠]، وفي لفظ: «**الناس سواء كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعبادة ولا تصحبن أحداً لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له**» [١٠١]، هذه المعاني الإسلامية التي تؤكد على الكرامة الإنسانية كثيرة في آيات القرآن الحكيم وأقوال الرسول الرؤوف الرحيم وهي مكونات مناهج

التعليم في المملكة العربية السعودية، هل يراد تغييرها إلى قول الذين تكلم الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾[١٠٢]، الذين يَعْتَبِرُون الأُميين The Gentiles وهم الأغيار والجويم لا كرامة ولا إنسانية لهم، يقول إسرائيل شاحاك الباحث اليهودي المعاصر في كتابه: (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود) عما في التلمود من انتقاص لكرامة غير اليهودي: « ولعن الأغيار ـ لأنهم كلاب ـ والدعاء عليهم بالدمار واجب، إعمالاً لما في التوارة من نظرة نحو الأغيار وقولها : «فلتحقرهم كلياً وتمقتهم»[١٠٣]، ولأن كلمة نفس تعني اليهودي فقط وما سواهم كلاب وخنازير، ولا يقف الأمر عند حد الإهانة وانتقاص الكرامة بل إن الأمر يتجاوزها إلى قتل كل ما هو ليس يهودي كما في تعاليم اليهود وفيها: « اليهودي الذي قتل غير اليهودي مذنب فقط بخطيئة ضد شرائع السماء والتي لا تعاقب عليه المحكمة، وأما التسبب في موت غير اليهودي بطريقة غير مباشرة فلا يعتبر خطيئة أبداً، وإذا وقع القاتل غير اليهودي تحت سلطة التشريعات القضائية اليهودية يجب إعدامه، سواء كانت الضحية يهودية أو لا، ولكن إذا لم تكن الضحية يهودية واعتنق القاتل اليهودية فلا يعاقب»[١٠٤]، ويستطرد شاحاك ليتكلم عن إهدار كرامة غير اليهودي ووجوب قلته فيقول : « ولقد استخلص العديد من المعلقين الحاخاميين النتيجة المنطقية لهذا الالتزام بالهالاكاه ـ الشريعة ـ وهي إمكانية قتل جميع اليهود المنتمين إلى شعب عدو، أو حتى ضرورة قتلهم . ويجري الترويج لهذه الفكرة منذ سنة ١٩٧٢م لتوجيه الجنود الإسرائيليين المتدينين إلى ذلك، وأول نصيحة رسمية من هذا النوع جاءت في كراس نشرته قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي ـــ التي تقع الضفة الغربية تحت سلطتها ـ يقول الحاخام المسؤول العقيد أ.فيدان (زيميل) ـ في هذا الكراس : « في حالة احتكاك قواتنا بمدنيين خلال الحرب، أو خلال مطاردة حامية أو غارة ، إذا لم يتوفر دليل بعدم إلحاقهم الأذى بقواتنا وهناك إمكانية لقتلهم أو حتى ضرورة للقيام بذلك

حسب الهالاكاه التي تحض على قتل حتى المدنيين الطيبين»[١٠٥]، إذا كان هذا منطق التلمود وما فيه من نصوص مضمنة في مناهج مدارس اليهود ومن شايعهم فمن الذي يجب أن تغير مناهجه ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

إن القول بقتل كل من هو غير يهودي إنما هو استخفاف بكرامة الإنسان وحرمانه من حق الحياة ذلك الحق الذي نصت عليه المادة الثالثة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وفيها : « لكل فرد حق في الحياة والحرية في الأمان على شخصه»، والحق في الحياة متضمن في المناهج الدراسية في المملكة العربية السعودية في قوله تعالى : ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[١٠٦]، وقال رسول الله ﷺ : « **يا حمزة نفس تحييها أحب إليك أم نفس تميتها ؟ قال : بل نفس أحييها . قال: عليك بنفسك**»[١٠٧]، وحرمان شخص من حق الحياة في الإسلام عليه عقوبة القصاص وهو من جملة ما يتعلمه الطالب السعودي في مناهج التعليم في موضوع العقوبات من حدود وقصاص وتعزير في حق المفسدين في الأرض الذي يرهبون الناس الآمنين من مسلمين وغير مسلمين إعمالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[١٠٨]، وهناك عقوبات الحدود في الزنا وشرب الخمر وهناك التعزير حين يُتَعْدى على الأعراض كل ذلك موجود في مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية، فهل المطلوب تغيير ذلك إلى مثل ما جاء في سفر التثنية في التوراة والتي تدعو إلى حرمان الإنسان من حق الحياة كما ذكر: «ولتمح ذكرى العماليق من تحت السماء»[١٠٩]، وهذا الذي أكده الحاخام شمعون وايزر حديثاً للجنود الإسرائيليين في فلسطين حيث قال « واعلموا أنه لا يسمح في زمن الحرب بقتل كل عربي أو امرأة فحسب، بل إن ذلك واجب القيام به»[١١٠]، وهذا يستند إلى ما في سفر التثنية أيضاً القول : «لا تترك حياً من غير اليهود يتنفس» [١١١]، إن قتل الناس جميعاً كما يفعل اليهود مبدأ يتنافى مع الإسلام وقواعده الرحيمة وما فيها من حقوق للإنسان ومنها الحق في الحياة، إنها

تتنافى حتى مع العقل والعرف، بل إنها تناقض أحد أهم الوثائق الدولية التي أصدرتها هيئة الأمم المتحدة وهي اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية التي أقرتها الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في ١٩٤٨/١٢/٩م بالقرار رقم ٢٦٠ أ د ـ ٣ ، ودولة إسرائيل تعمل بعكسها في إبادة الشعب الفلسطيني.

٥ ـ والقتال في الحرب مما هو معروف بالجهاد في دين الإسلام له أهداف ومعاني سامية مما جاء في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وسيرته وأقواله ﷺ ، وهو ليس رغبة في التوسع والاستيلاء ، ولا دعوة إلى عنصرية وهمجية، إنه رد لعدوان ودفاع عن حق، لقد جاء القرآن الكريم على عكس كل الفلسفات والنظريات ومدارس التحليل النفسي والاجتماعي التي رأت في القتال والعنف والحرب غريزة أصلية ولصيقة بالإنسان، وثابتاً أزلياً أبدياً من ثوابت النفس الإنسانية، جاء القرآن على العكس من ذلك كله ليقرر أن القتال إنسانياً وإسلامياً أمر مكروه، وهو أمر طارئ واستثناء تفرضه الضرورات، فإذا حدث وفرضت الضرورات هذا الاستثناء الطارئ ، فإن مثله مثل الجراحات الضرورية والمكروهة التي لا بد من معالجتها أو استئصالها ولا يخلو من خير إذا كانت مقاصده خيرة وإذا دفع فساداً أكثر وأرجح ، وإذا وقف عند القدر الذي تحتمه الضرورات ، إذا ضبطت ممارسته بالشمائل والأخلاقيات الشرعية التي لابد وأن تتحلى بها فروسية القتال، نعم جاء القرآن الكريم ليقرر هذا المنهاج الإلهي في قتال المسلمين لمن يجوز قتاله من الآخرين ، فهو مكروه تفرضه وتستدعيه الضرورات، ولا يجوز للمسلمين أن يقاتلوا أحداً ابتداءً وفجاءةً، فالقتال في الإسلام كما قلنا دفاعي ورد للعدوان، ولا يجوز أن يتجاوز القتال رد العدوان عن المسلمين وديارهم وإسلامهم، سواء في مقاصد العدوان أو آليات وأدوات صد هذا العدوان، قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[١١٢]، وقال تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[١١٣].

وهناك حالتان اثنتان حصر القرآن الكريم فيهما جواز وجوب قتال المسلمين للآخرين المعتدين أولاهما : حالة أن يفتن الآخرون المسلمين في دينهم بأن يكرهوهم على الكفر مثل الدعوة إلى تغيير المناهج التعليمية الإسلامية أو يحولون بينهم وبين حرية الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، والثانية : حالة عدوان الآخرين على المسلمين بإخراجهم من ديارهم وأوطانهم ، أو المظاهرة والمساعدة على هذا الإخراج من الديار والأوطان وقد تحدثنا عن حال المهاجرين واللاجئين في فصل سابق من هذه الموسوعة وما يعانيه المهاجر من ظلم وقهر وافتئات وتكلمنا أيضاً عن معنى الجهاد والقتال في الإسلام . والمناسبة تستدعي بيان من الذي يُطلبُ منه تغيير مناهج التعليم ، الذي لا يعترف بالآخر وينكره ، أما الذي يعترف بالآخر ولا ينكر على الأقل إنسانيته وحقه في الحياة فضلاً عن الدين وغيره من الحقوق، هذا يلزمنا بالضرورة بيان ما في القرآن الكريم من مبادئ حقوقية مع بيان ما لدى اليهود ومن سار في ركابهم من تشريعات تقتضي بإقصاء الآخر وإبادته.

فمما يلحظ أن معظم آيات القرآن الكريم التي جاءت في موضوع «الإذن» بالقتال و «الأمر» به و «إيجابه» و «الحض والتحريض» عليه، جاءت جميعها في إطار الحالات التي ذكرناها لا تتعداها، حتى لقد صار ذلك معياراً عاماً وحاكماً لقتال الآخرين في الإسلام لا غير، قال تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[١١٤].

الأصل في العلاقة مع المخالفين في الدين في حكم الإسلام هو السلم والمودة والبر والقسط، أما القتال فإنه طارئ استثنائي يفرضه عدوان الآخرين على المسلمين

بإكراههم وفتنتهم في دينهم أو إخراجهم من الاوطان والديار وبالتهجير والاقتلاع أو بالاستعمار والاحتلال، وفي هذا الإطار وتحت هذا المعيار بدأ « الإذن» بالقتال في القرآن الكريم للذين أخرجوا المسلمين من ديارهم، قال تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١١٥)، وعندما أمر القرآن المسلمين بالقتال كان هذا الأمر قتالاً لمن أخرجوهم من ديارهم، فهو رد لعدوان وجزاء من نوع العمل، قال تعالى:﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١١٦)، وعندما تحدث القرآن الكريم عن القتال باعتباره «فريضة واجبة »كان ذلك في مقام عدوان الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم وفتنوهم في الدين بالحصار والإكراه والتعذيب، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢١٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١٧)، وكذلك كان المقام وكانت الأسباب والمقاصد عندما استنفر القرآن المسلمين لخوض غمار القتال، فالمقام والسبب لهذا الاستنفار هو عدوان الآخرين من المشركين عندما استفزوا الرسول ﷺ والمؤمنين فأخرجوهم من الديار، وعندما تآمروا على الرسول ﷺ ليسجنوه أو يقتلوه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[118]، وقال تعالى : ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[119]، وقال تعالى : ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ﴾[120]، وقال تعالى: ﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[121].

واستناداً إلى هذه المبادئ تأتي جميع الآيات القرآنية التي « أذنت» و «أمرت» و «أوجبت» لتحصر مشروعية القتال في رد عدوان الذين يقاتلوننا في الدين أو يخرجوننا من الديار أو يظاهرون ويساعدون على هذا الإخراج، ولتقف بهذا القتال آفاقاً ومقاصد وآليات عند رد العدوان فهو في الحقيقة قتال القصاص، قال تعالى :﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[122]، وغير هذه الموازين الضابطة لدوافع القتال والتي تحدد أسباب قتال الآخرين في الإسلام تقدم الإسلام على درب السمو الأخلاقي غير المسبوق في هذا الميدان. فضبط القتال وغرائزه ومضاعفاته بأخلاقيات جعلت الإسلام والمسلمين رواداً لما يمكن أن نسميه « أخلاقيات الفروسية الإسلامية » حتى في هذا الميدان الذي عزت وتعز فيه الأخلاقيات، وحتى ونحن ندخل إلى القرن الواحد والعشرين، كل هذه الأخلاقيات تأتي من خلال النظرة الإنسانية في الشريعة الإسلامية والحفاظ على الإنسان وحقوقه والضرورات الخمس التي اهتم الإسلام بحفظها للإنسان، فالمسلمون لا يقاتلون غيلة وفجاءة ، وإنما لهم من إعلام الآخرين ــ المعاهدين الذين لم يتلبسوا بالخيانة والعدوان ــ بالقتال، ما دام الموقف عند حدود الخوف من نقض العهد والعدوان الوشيك، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[123]، يقول المستشرق

الفرنسي اميل درمنغم E. Dermenghem: «لم يشرع الجهاد لهداية الناس بالسيف، ففي القرآن : ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ ، والقرآن يأمر المسلمين بالاعتدال وبألا يبدأوا بالاعتداء »[١٢٤] . وفي السيرة النبوية الشريفة أن الرسول ﷺ ما قاتل أحداً حتى يدعوهم ، وإذا قاتل المسلمون فإنهم لا يجهزون على جريح ولا يقتلون أسيراً بل ولا يضيقون عليه في ضروريات وحاجيات الحياة ، وكذلك فإنهم لا يقاتلون ولا يقتلون غير المقاتلين، فلا قتال ولا قتل للنساء والأطفال المسالمين والرهبان والعباد والمنصرفين إلى الزراعات والتجارات والصناعات والحرف وشؤون العمران، بل لقد ذهبت أخلاقيات الفروسية الإسلامية إلى آفاق التشريع للتعامل الإنساني الرفيق مع الحيوانات ومع النباتات إبان القتال، فالمسلمون مأمورون بأن لا يقطعوا شجراً ولا يقتلعوا زرعاً ولا يدمروا البيئة ولا يذبحوا حيواناً إلا لضرورة وحاجيات حفاظاً على الحياة والبيئة .

ومن طلب الأمان من المقاتلين ولو بالإشارة فدمه مصون وحرام، ولقد صاغ أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذه الشمائل الإسلامية دستوراً لأخلاقيات القتال في الإسلام عندما أوصى يزيد بن أبي سفيان وهو يودعه أميراً على الجيش الذاهب إلى الشام فقال له : « إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً ولا تقطعن شجراً مثمراً ولا تخربن عامراً ولا تجبن ولا تغلل ولا تفرقن ولا تحرقن نخلاً ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة [١٢٥] »، وتأتي وصية أبو بكر الصديق رضي الله عنه تفعيلاً لقوله ﷺ : « **اغزوا باسم الله وفي سبيل الله واغزوا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا تعتدوا ولا تمثلوا**»[١٢٦]، فكان ذلك أول دستور لأخلاقيات القتال وضعه الإسلام وطبقه المسلمون ديناً يتدينون به قبل خمسة عشر قرناً من توقيع اتفاقات جنيف ومواثيق حقوق الإنسان التي لا يتعلق بها إلا الضحايا والمستضعفون ويناقضها ويعتدي عليها المستعلون المتكبرون الجبارون، ولئن كانت

هذه معايير في الإسلام وأخلاقيات فروسية هذا القتال التي التزمها المسلمون فهذا يبين ويؤكد حصيلة ضحايا كل الغزوات التي قادها رسول الله ﷺ وخاضها المسلمون على امتداد السنوات التسع التي شهدت الغزوات والبعوث والسرايا القتالية في دولة الإسلام الأولى بالمدينة حصيلتها ذلك الرقم المدهش في تواضعه الشديد إن لم نقل في ضآلته و« تفاهته»! فعلى حين أهلكت الحروب الدينية بين مذهبين داخل النصرانية الكاثوليك والبروتستانت في وسط أوروبا ٤٠٪ من تعداد شعوب تلك البلاد عشرة ملايين حسب إحصاء «فولتير» لم يزد ضحايا كل غزوات الإسلام وحروبه ضد الشرك واليهود في شبه الجزيرة العربية على عهد رسول الله ﷺ عن (٣٨٦) ثلاثمائة وثمانية وستون من الفريقين شهداء المسلمين وقتلى المشركين[١٢٧]، هل المطلوب بعد ذلك تغيير معاني الدفاع عن النفس المباح في الإسلام وما هو مضمن في المناهج الدراسية في المملكة العربية السعودية للخروج إلى معاني الإرهاب والعنف والقتل المضمن في المبادئ اليهودية التي تقضي بقتل الأنفس البريئة وتدمير الحياة والبيئة؟ .

لقد كان القرآن الكريم يعلمنا أن اليهود هم أحرص الناس على الحياة حياتهم هم ، بينما هم أحرص الناس على إبادة كل الأغيار ، أما الحرص الإسلامي إنما هو على هداية الأحياء لأحيائهم بالإسلام، فهدف الإسلام هو الإحياء وليس الإفناء ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[١٢٨]، ولننظر كيف فاقت وتفوقت نصوص التوراة المحرفة التي هي انقلاب على روح ومقاصد ومعايير توراة موسى عليه السلام، كيف فاقت وتفوقت نصوصها على الخيال في التشريع والتقنين لإبادة الآخرين، لا لشيء إلا لأنهم آخرون وأغيار ؟ والعجيب أن هذه التوراة تورد كل أوامر الإبادة إبادة اليهود للأغيار باعتبارها أوامر الرب وفرائضه، التي بدون تنفيذها يتزايد غضبه وانتقامه ، فرب اليهود يهوه كما هو في التلمود وهو خاص بهم، وهم

وحدهم شعبه وأحباؤه، هو رب الجنود والجيوش والشرط « لكي يرجع الرب عن حمو غضبه ويعطيك الرحمة»[١٢٩]، هو أن يبيد الشعب اليهودي كل الآخرين والأغيار، ولذلك طفحت أسفار التوراة وكتاب يشوع بالأوامر والوصايا التي تقول : « فقال الرب لموسى: اكتب هذا تذكاراً في الكتاب، وضعه في مسامع يشوع : فإني سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء» وهذا « الرب » لا تقف أوامر الإبادة عند من يحاربهم اليهود، وإنما تمتد لعنة الإبادة الجماعية إلى الذرية حتى الجيل الرابع ، «فالرب لا يبرئ ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع»[١٣٠].

إن هذه الإبادة للأغيار ترتفع في النصوص التوراتية ومن ثم في الثقافة التي صنعتها وصبغتها هذه التوارة عند الجماعات اليهودية إلى حد التقرب بها إلى هذا الرب: « إن سمعت عن إحدى مدنك التي يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولاً، فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتُحرّمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف، وتجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلاً إلى الأبد لا تُبنى بعد، لكي يرجع الرب عن حمو غضبه ويعطيك رحمة»[١٣١]، فرحمة هذا « الرب » يهوه مرهونة بإبادة الإنسان والحيوان، حتى الطبيعة والمباني والجماد فاليهود شعب مقدس حتى بهائمهم مقدسة لا يجري عليها ما يجري على البشر الآخرين ولا البهائم الأخرى من الأمراض والعقم ، والمهمة الإلهية المقدسة لهؤلاء اليهود هي «أكل الشعوب» التي يدفعها «الرب» إلى هؤلاء اليهود وحاكمًا عليها بهذا المصير الرهيب، وإذا كان هذا الذي أشرنا في طرف منه عن موقف اليهود واليهودية التلمودية والتوراتية من الأغيار قد انحط إلى ما هو أدنى من «وحل الثرى» فإن المرء لا يملك أمامه إلا أن يتذكر ويذكر بثريا الإسلام ، ذلك الدين العظيم الذي بلغت إنسانيته حد التكريم والتفضيل للإنسان مطلق الإنسان بصرف النظر عن دين أو نسب أو لون أو

لغة وثقافة وحضارة هذا الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[١٣٢]، ثم هذا رسول الله محمد ﷺ ينهض احتراماً لجنازة يهودي ، فلما حدثه بعض صحابته عن أن هذه الجنازة التي قام لها هي ليهودي، رد ﷺ مستنكراً ومعلماً فقال: **«أليست نفساً؟»**[١٣٣]، وكذلك صنع صحابته في القادسية وسكناها يومئذ المجوس، فعن ابن أبي ليلى أن قيس بن سعد وسهل بن حنيف كانا بالقادسية فمرت بهما جنازة، فقاما، فقيل لهما : إنها من أهل الأرض القادسية فقالا : إن رسول الله ﷺ مرت به جنازة فقام فقيل له: إنه يهودي . فقال : **« أليست نفساً؟ »**، ففي ذلك احترام للنفس الإنسانية لحقوقها حتى بعد موتها فضلاً عن الاحترام والتقدير لنفوس الأحياء وهذا مما ذكرناه عن حقوق الإنسان بعد الموت في الباب الخاص بالنواقص في هذه الموسوعة.

والإسلام هو الذي احترم الدم الإنساني لمطلق الإنسان وحكم باحترام مال غير المسلم احترامه لمال المسلم بل وأكثر من ذلك عندما قرر احترام مال غير المسلم الذي لا حرمة له في الإسلام مثل الخمر والخنزير، وقررت سنة النبي محمد ﷺ ، قبل خمسة عشر قرناً أن لغير المسلمين في دولة الإسلام مثل ما للمسلمين، ويكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم، وهو المبدأ الذي جسدته السياسة الشرعية للدولة الإسلامية عبر تاريخ الإسلام حتى ليقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لواليه على مصر الأشتر النخعي وكانت مصر أغلبية أهلها نصرانية الدين إذ ذاك: « أشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإن الناس صنفان : إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه»[١٣٤].

تلك هي صورة الآخر في الإسلام ومناهجه التعليمية ومقرراته الدراسية، إنه

الإسلام الدين والدولة والثقافة والحضارة والتاريخ فأين منها صورة الآخر من الأغيار تلك التي رأينا طرفاً منها في اليهودية التلمودية والتوراتية المحرفة وثقافة وممارسة الجماعات اليهودية عبر تاريخهم الطويل والكئيب؟! وما تضمنته كتبهم ومناهج تعليمهم من هذه المبادئ وهي نفسها عند أولئك الذين يعاضدونهم مما سنقدم له أمثلة وشواهد تعزز كلامنا ، والواقع المشاهد في فلسطين هو الدليل الذي نقدمه لكل عاقل لنقول من المطلوب منه تغيير مناهجه الدراسية خصوصاً ما فيها من قوانين عسكرية وحربية ؟ فماذا يحكي التاريخ عن حروب غير المسلمين مقارنة بحروب المسلمين في جميع أنحاء العالم ؟

٦ــ إذا كان تكوين الأسرة والزواج حقًا إنسانيًا نصت عليه المواثيق الدولية مثل ما جاء في المادة السادسة عشرة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وكذا في بعض نصوص العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفي العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية فإن ذلك الحق متضمن في مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية ، وإن الحق في تكوين أسرة من أبرز الحقوق في الحياة الإنسانية والمبادئ الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١٣٥]، وبينت الآية الكريمة دعائم سكون الزوج إلى الزوجة وما توجده من المودة والرحمة، والأساس أن أزواجكم من أنفسكم، وحرم الإسلام الزنا مقابل الزواج المشروع ، قال النبي محمد ﷺ : « **الدنيا كلها متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة**»[١٣٦]، كما قال ﷺ : « **ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسه وماله** »[١٣٧].

وهذه الصفات والخصائص والشمائل في الزوجة بل حتى في الزوج قيم إنسانية تسعد بها أي أسرة تربى عن الزنا وبها تحمى الأمم من ضياع الأنساب

وفساد الأخلاق، وتحفظ حق الإنسان من الاعتداء على الأعراض، وإذا كان للإنسان شهوة عارمة حق له أن يتزوج أكثر من زوجة بوجه مشروع فذاك حق معلن من ذلك السلوك الخفي بأن يكون للرجل العديد من العشيقات بغير وجه مشروع، يقول غوستاف لوبون : « إن التعدد المشروع عند الشرقيين أحسن من تعدد الزواج الرياثي عند الأوروبيين ، وما يتبعه من مواكب أولاد غير شرعيين»[١٣٨]، ويقول الباحث البريطاني الدكتور ف. لايتنر : « إن تعدد الزوجات في الإسلام، فإنه وبقطع النظر عن منافعه الحقيقية، فإنه يقلل النساء في الأماكن التي هن فيه أكثر من الرجال وبقطع النظر عن أنه يقلل وجود المومسات وأضرارهن ويمنع مواليد الزنا»[١٣٩]، هل هذه القيم الحقوقية في مناهج التعليم السعودية المتوافقة مع الحق الإنساني تمثل خطراً على أحد وتحتاج إلى تغيير أم ما هو موجود في تعاليم وثقافة اليهود مما جاء ذكره في دائرة المعارف التلمودية؟ والتي تنص على أن : « من يقيم علاقة جنسية مع زوجة غير اليهودي لا يتعرض لعقوبة الموت لأن جميع غير اليهوديات عاهرات»[١٤٠]، هل هذا المنهج وما فيه من فساد وإفساد ومثله من مناهج تشريعية وتعليمية أحق بالتغيير أم المنهج الذي يقيم الحدود على الزناة والشواذ واللوطيين، منهج الإسلام الذي يحرم فيه الإسلام الزنا بين المسلمين وبين غيرهم مما يتعلمه الطالب السعودي في مناهج التعليم السعودي والذي يُعَلّم قيمة الزواج وعقاب الزنا والسفاح وأهمية المحافظة على الصحة العامة والنظام العام والتزام حدود الله وحفظ حقوقه ثم حقوق الناس في أعراضهم.

٧ ــ الحقوق الاقتصادية والمالية وما يملكه الإنسان في الأصل عطاء الله وفضله على الناس، فالله هو الرزاق وهو الذي يقسِّم المعَايش والأرزاق بين الناس، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن

تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[١٤١]، وجميع المواثيق الدولية عن حقوق الإنسان تؤكد على حقوق الإنسان الاقتصادية، ففي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مثلاً تنص مادته السابعة عشرة على أن : « لكل فرد حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره ولا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً » ، فالمناهج الدراسية في المملكة العربية السعودية تعلم الطالب الدفاع عن أمواله وتنهاه عن سرقة أموال الآخرين أو الاعتداء على مقدراتهم والسطو على ممتلكاتهم، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾[١٤٢]، يقول الله جلّ وعلا : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[١٤٣]، أيراد أن تكون مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية تعلم الطالب سرقة أموال الناس والسطو على مقدرات الشعوب من ثروات الأرض الزراعية والمعدنية والبترول باسم الفوائد وباسم التحرير أو باسم الديمقراطية ؟ أم أن الطالب في المناهج السعودية يتعلم أن السارق تقطع يده إن سرق حتى لو مال غير المسلم، قال تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ﴾[١٤٤]، وإلا فبدون هذه العقوبة تهدر الحقوق وتنتهك الحرمات، أيراد أن تكون مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية مثل ما يفعله اليهود وما يعلمون أبناءهم به في مناهجهم الدراسية، فالتلمود يقول: « أما السطو على غير اليهود فغير محظور، ولا يجوز النصب على اليهودي سواء من خلال شراء أو بيع أشياء بسعر معقول، لكن ذلك لا ينطبق على غير اليهودي لأنه مكتوب: لا يسلب الإنسان شقيقه اليهودي فقط»[١٤٥]، وتشير أسفار التوراة إلى جواز الربا مع غير اليهود عندما يقترضوا المال كما جاء في سفر الخروج : « لن يسكن أرضك الأغيار ويؤخذ منهم الربا عند الإقراض »[١٤٦]، هذه الأفكار وغيرها المخالفة للعقل والعرف والتي تنتهك بها حقوق الآخرين شحنت في كتاب التربية في التعليم العام اليهودي الحديث وهو واسع الانتشار في المدارس الإسرائيلية.

ويطول ذكر الجوانب السلبية في المناهج الدراسية والمبادئ التعليمية عند اليهود ومن شايعهم ممن يطالبون بتغيير المناهج العلمية في المملكة العربية السعودية، فانظر على سبيل المثال في كتب المستشرقين وكتب الأدباء وكتب الرحالة وكتب السياسيين وغيرهم وما فيها من دس على الإسلام والمسلمين وكل هذه الكتب هي مكونات القواعد الأساسية لرسم وتخطيط المناهج الدراسية وهي المصادر التي تكتب بها مادة المقررات الدراسية في العلوم الاجتماعية وعلى الأخص مادة التاريخ وما فيه من تزوير للحقائق ونشر للأباطيل ومن مثل ذلك ما كتبه أحد الغربيين المعاصرين عن نظرة المسيحيين للنبي محمد ﷺ فقال : « لقد اعتبر المسيحيون الأوروبيون محمداً ﷺ رجلاً عاش حياة داعرة وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط»[١٤٧]، ويقول مارتن لوثر : « **أي كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن المليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع**»، ويقول أيضاً : «**إن محمداً كان خادم العاهرات وصائد المومسات**»[١٤٨]، وهذا كذب وإكراه وتدليس وإساءة إلى الإسلام والمسلمين وقهر للحرية الدينية بما تفيض به مناهج ومقررات التعليم عند اليهود ومن يسيرون في ركابهم ممن استحمروهم واستذلوهم من شعوب الأرض.

صورة الإسلام والمسلمين في مناهج التعليم في بعض دول العالم

ولعلنا في ختام هذا المبحث نقدم للقارىء بعض الحقائق عن واقع المناهج والمقررات الدراسية في بعض دول العالم وصورة الإسلام والمسلمين والعرب فيها ، وأعطي بادئ ذي بدء مثالاً للدراسة العلمية التي قمت بها في كتابي : (صورة الإسلام في الأدب الإنجليزي) في جزئين تقصيت ذلك منذ القرن السابع الميلادي حتى الوقت الحاضر، فوجدت أن معظم كتّاب الأدب الإنجليزي طعنوا في الإسلام وشرائعه، وفي نبوة الرسول محمد ﷺ وفي أركان الإسلام وفي النظام السياسي والاقتصادي، وهذه مادة علمية تدرَّس للطلاب إن لم يكن في المدارس الثانوية

فبالضرورة في المرحلة الجامعية وخلال إعداد رسائل الماجستير والدكتواره، كما كتبت كتاباً آخر بعنوان: (فكر التنصير في مسرحيات شكسبير) وفيه بيان لكيل السباب والشتائم للمسلمين والإسلام مما دونته يد الكاتب، وشكسبير ومسرحياته مادة علمية تدرس في المدارس العامة والتعليم العام فضلاً عن تدريسه في الجامعات.

وسوف أستعرض هنا بعض النماذج لمضامين المقررات والمناهج الدراسية في بعض دول العالم عن الإسلام والمسلمين مما نشر في مجلة المعرفة التي تصدرها وزارة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية وما حواه عددها لشهر ذي القعدة لعام ١٤٢٣هـ يناير ٢٠٠٣م من ملف عن واقع المناهج الدراسية في بعض دول العالم والتي تم جمعها في كتاب بعنوان : (صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم) وعلى الأخص في أمريكا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وإيطاليا ، وألمانيا ، وإسبانيا ، وروسيا والهند ، وكوريا ، والبرازيل ، وإسرائيل ، وهو المصدر الذي اعتمدنا عليه في نقل المعلومات المدونة أدناه في هذه المبحث .

صورة الإسلام والمسلمين في مناهج التعليم الإسرائيلية

اهتمت الحركة الصهيونية في إسرائيل بميدان التربية والتعليم ، واعتبرته من أولويات تحركها نحو إقامة الكيان الصهيوني، فمنذ عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، وقبل قيام (إسرائيل) حرصت الصهيونية على القبض بيدها على زمام المبادرة في مجال التعليم، وفرضت على السلطات البريطانية إرادتها، بأن يكون للوكالة اليهودية التي اعتمدتها ممثلة لليهود في فلسطين الحق والحرية في وضع المناهج الدراسية للطلبة اليهود ، في الوقت الذي حجبت هذا الحق عن عرب فلسطين أهلها الشرعيين، ونصبت مسؤولاً بريطانياً على إدارة المعارف بحيث يضع

المناهج التي يراها تنسجم مع وعد بلفور، وصك الانتداب البريطاني الذي نص على وضع البلاد (فلسطين) في أحوال اقتصادية واجتماعية ، تهيىء لقيام الوطن القومي اليهودي . وإثر قيام الكيان الإسرائيلي الصهيوني عام ١٩٤٨م، أعلن بن غوريون في الرابع عشر من شهر مايو ١٩٤٨م في تل أبيب أمام حشد من غلاة الصهاينة ، ما سمي (بوثيقة الاستقلال) التي اعتبرت فيما بعد منهجاً دائماً لما سماه الأمة اليهودية، ملزمة بالسير على أساسه، ومعتبرة إياه تجسيداً مرحلياً لأماني وآمال الفلسفة التربوية وتثقيف الأجيال اليهودية القادمة ، بموجب نصوصه ومعاييره، وقد اعتمدت الوثيقة الرئيسية عدداً من العناصر الأساسية تهيىء لمسارها :

أولاً : الحقوق التاريخية والقانونية والطبيعية في إقامة وبناء الدولة .

ثانياً : الإعلان عن الدولة ومؤسساتها.

ثالثاً : أسس إدارة الدولة بالنسبة للشعب اليهودي ثم تجاه سكان البلاد كافة، وأخيراً تجاه الأمم المتحدة.

رابعاً : النداء الموجه للأمم المتحدة وللعرب في (إسرائيل) وللدول المختلفة ، أخيراً للشعب اليهودي[١٤٩].

وحرصت الوثيقة على أن لا تبين حدود دولة (إسرائيل) إذ كان القصد الحقيقي من عدم توضيح ذلك التحلل من أي التزام بالوقوف عند أي حد ، والسير في السياسة التوسعية. وأشارت الوثيقة إلى دعوى هرتزل في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد بمدينة بال السويسرية عام١٨٩٧م بحق الشعب اليهودي في كيان قومي له، ومن وحي هذه المفاهيم وانطلاقاً منها، وضعت فلسفة تربية الناشئة الصهيونية ، وتركزت فلسفة تعليم أبناء اليهود على المفاهيم الآتية:

- إن اليهود أمة واحدة، ولذلك كان لابد من حصر جميع اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين من جميع أنحاء العالم في بوتقة واحدة على أساس اللغة العبرية والدين اليهودي.

- إن (أرض إسرائيل) أي فلسطين هي وطن هـذه الأمة ولابد من العودة إلى هذا الوطن والارتباط به .
- إعادة صياغة الأمة اليهودية، وفق الروح اليهودية والثقافية اليهودية، وحياً من الدين اليهودي ، واللغة العبرية ، وتطبيق ذلك على جميع القوى في (إسرائيل) من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.
- اعتبار التوراة في أصولها العبرية ، المصدر الأساس للتاريخ القومي، وجغرافية الوطن، ومصدر دروس اللغة العبرية والتاريخ اليهودي، والأدب القومي، والمحتوى الأساسي للتقاليد الروحية والأخلاقية.
- اعتبار الشعب اليهودي هو شعب الله المختارالذي هو فوق كل الشعوب، والذي سخرت الشعوب لخدمته، واعتبار أي من الحضارات، والعلوم، والثقافات ، إنما هي من وحي هذا الشعب وريادته.
- إيجاد المجتمع العسكري الدائم، وذلك بتدريب الشعب كله على الجندية لمدة طويلة ، وإدخال التدريب العسكري إلى المدارس، وتأسيس منظمات (الجنداع) و(النحال) وشحن أفكار الناشئة منذ الطفولة المبكرة بروح العداء والاحتقار للعرب.
- الإيحاء للناشئة اليهودية بأن العرب يعملون على إبادتهم وتدمير (إسرائيل) وملء المناهج الدراسية بالبطولات الخارقة للشعب اليهودي، وأن الله وعدهم باستخلافهم في الأرض، وتذكيرهم بأيام الإذلال والمهانة، والمذابح التي واجهوها على أيدي الشعوب الأخرى على مر العصور.

وفي إطار ما تقدم، وضعت وزارة المعارف والثقافة في (إسرائيل) المرتكزات والقيم التربوية التي تعتمدها كتب العلوم الإنسانية (الجغرافية ـ التاريخ ـ المواطنة ـ المدنيات ـ العقيدة اليهودية ـ المطالعة) المقررة رسمياً من قبل الوزارة بشكل ثابت ومستمر وقابل لتطور مفهوم الاحتلال الاستيطاني لفلسطين، وأجزاء من العالم العربي ، وقد جاء في كتاب : (المرتكزات والقيم التربوية الصهيونية) ما يلي :

١ ــ تعمد إغفال التاريخ العربي والإسلامي في فلسطين في مختلف العصور والتنكر للوجود العربي و الإسلامي عبر التاريخ في مدينة القدس واعتبارها مدينة يهودية خالصة، يقترن وجودها التاريخي بوجود المؤسسات والمعابد والهياكل اليهودية .

٢ ــ اعتبار العرب أصحاب الأرض الشرعيين محتلين في قلب وطنهم فلسطين، واعتبار الفتح الإسلامي احتلالاً وغزواً تاريخياً للأرض التي تعتبر في نظر اليهود ملكاً لهم، واعتبار سائر المعابد والكنائس، والمساجد أماكن أثرية يهودية، بنى المسيحيون والمسلمون دور عبادتهم ومؤسساتهم على أنقاضها، زاعمين أن الحرم المقدس الشريف أقيم على أنقاض هيكل سليمان.

٣ ــ اعتبار فلسطين والهضبة السورية (الجولان) أرضاً يهودية والأقطار العربية المحيطة بها دولاً أجنبية، لا علاقة لها بلفسطين قومياً وعقائدياً، وتاريخياً.

٤ ــ اعتبار العنصر اليهودي عامل تطور على أرض فلسطين، وبافتقاده أهمل الفلسطينيون العرب أرض إسرائيل قروناً عديدة، فكان لابد من عودة لتغليب العنصر اليهودي بغية تهويد كامل التراب الفلسطيني حتى تعود لإسرائيل أمجادها، ويستأنف اليهود بناء أرض إسرائيل .

٥ ــ تكرار دعوة إقامة المستوطنات بذريعة الدفاع عن الكيان الإسرائيلي، بعد حربي يوليو ١٩٦٧م ، وأكتوبر عام ١٩٧٣م.

٦ ــ تحميل العالم بأسره مسؤولية ما جرى لليهود دون تمييز خصوصاً تفعيل موضوع الهولوكوست **Holocaust**[١٥٠].

وفي إطار المرتكزات والأهداف السابقة التي جاءت في كتاب : (المرتكزات والقيم التربوية الصهيونية) التي وضعها المؤلف بتكليف من وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية قام عدد من المؤلفين الإسرائيليين بوضع الكتب الدراسية لمختلف المراحل وهي تحمل الفكر اليهودي الصهيوني الذي ينتهك حقوق الإنسان وينكر الآخر

استناداً على المبدأ اليهودي القائل: ليس علينا في الأميين سبيل فنورد بعضاً منها وما جاء فيها ، فكتاب: (هذا موطني) تأليف ش . شكيد ـ كغيره من الكتب ـ فهو مليء بالمغالطات ففيه أن العرب مخربون، وقتلة في مستعمرات الجليل الأعلى ، لذلك لابد من الرد عليهم بإنشاء حزام من المستعمرات في الشمال ، وأن كل ما مر بالقدس ليس سوى غزوات عابرة حتى سعدت بعودتنا لتصبح عاصمة لإسرائيل مرة أخرى، والخليل عاصمة الملك داود في بداية حكمه، وللمدينة نابلس ارتباط مع ماضي شعبنا ومر بها إبراهيم ويعقوب وبها قبر يوسف عليهم السلام ، وجمع بها يوشع الشعب قبل موته، وأن المدن والقرى في أرض إسرائيل بشرق الأردن هدمت بعد احتلال العرب لها ، وانتزع شرق الأردن من أرض إسرائيل كمكافأة للعرب مع أن شرق الأردن جزء من أرض إسرائيل، وعن طريق استخدام القوة يتعلم العرب بسرعة كيف يحترمون الحارس اليهودي[١٥١]، وكان الجولان في أيدي السوريين تهديداً لمستوطنات في سهل الحولة ووادي الأردن، وحلم المستوطنين لم يتحقق في الجولان إلا بعد حرب الأيام الستة.

وفي كتاب : (وقائع شعب إسرائيل: من ظهور الإسلام حتى استقلال الولايات المتحدة) وهو مقرر للصف السابع الابتدائي ، تأليف ب . أحياه، وم. هرفاز . يبرز الكتاب فيه الحقد على الإسلام وتزوير التاريخ العربي مثل الكتب الأخرى التي تنتشر فيه المغالطات الصارخة الفاضحة ، ولقد أُعْتبِر الإسلام دين المحاربين، والزعم بأن اليهود قد أثروا في العرب، وأن الإيمان الذي جاء به محمد ﷺ إنما كان استلهاماً من اليهود، وفيه وصف الرسول محمد ﷺ بأنه الغارق في الأحلام، والمقاتل والآمر اتباعه بنشر الدين بقوة السلاح، وفي الكتاب صورة مفتراة عن النبي محمد ﷺ بأنه يشم الورد وهو يقبض على السيف، ويزعمون أنه حاول أن يجتذب اليهود إليه فأمر أتباعه أن يتوجهوا في صلاتهم إلى القدس، وأن يصوموا يوم الغفران، وأن اليهود قابلوا ذلك بالسخرية، وعندما أدرك أنهم بعيدون عنه، غيَّر

موقفه تجاههم وأخذ يقسو عليهم وألغى صوم يوم الغفران وعين صوماً آخر يستمر شهراً ويدعى رمضان ، كما غير القبلة من القدس إلى مكة ، ويزعمون أن الرسول ﷺ في حربه مع اليهود في المدينة بدأ يستعمل المكائد والمؤامرات ، كما عمد إلى توقيع سلام مع بعض القبائل في الوقت الذي يتفرغ فيه لمحاربة إحداهما ، وبذلك نجح في السيطرة على اليهود الذين تصدوا له، ومن المغالطات التي احتواها الكتاب القول بأنه رمزاً للاعتراف بجميل اليهود على مساعدتهم للخليفة عمر بن الخطاب في احتلال البلاد سمح لسبعين عائلة يهودية بالإقامة في القدس، وهذا غير صحيح، ويتعارض عما جاء في العهدة العمرية [١٥٢] .

ويتضمن كتاب : (علم التربية) لطلبة المدارس الثانوية ، من تأليف : شالوم أبخر، الكثير من الافتراءات على العرب، بهدف ترسيخ العدواة والحقد في نفوس الطلاب اليهود ومثال ذلك الادعاء بأن إسرائيل تقع في قلب البلاد العربية التي تصرح تلك الدول بوضوح عن خططها لمحوها من الخارطة، وأن العرب يعدون لحرب إبادة ضد إسرائيل بحيث يقذفون بالسكان اليهود في البحر ، وأن الحكام العرب يريدون استمرار الحقد على إسرائيل، وأغراض العرب الظاهرة المعلن عنها ليس فقط احتلال المنطقة الإسرائيلية بل الإبادة الشاملة للاستيطان اليهودي، لذلك فإن القتل الجماعي (المحتمل) الذي تتعرض له إسرائيل لا مثيل له في أي مكان آخر في العالم . وإذا لم يستطع العرب تنفيذ تهديداتهم حالياً بالنسبة لإسرائيل فإن ذلك ليس بسبب عدم وجود الإرادة لديهم ولكن لعدم قدرتهم على ذلك. ويركز الكتاب على شحن الطلاب بروح العداء ، وإشعارهم بعدو متربص بهم ، عليهم أن يضربوه بشدة كلما أتيحت لهم الفرصة، ويصور الكتاب العرب بالمتخلفين اجتماعياً ، فهم عائلات وقبائل متناحرة تنتشر بينها عادات لا تمت إلى الحضارة بشيء.

وتدخل قصص الأطفال ضمن الحرب النفسية التي تقوم بها السلطات الصهيونية، لتقوية نفوس أبنائها، وتعزيز موقفها وغرس روح العداء والتفوق والاستعلاء في

نفوس الأطفال ، لذا فقد عمدت السلطات الإسرائيلية إصدار سلاسل من القصص لتحقيق غايتها، نتناول منها على سبيل المثال سلسلة قصص: (داني دين) وهو شخصية أسطورية خارقة متفوقة قادرة على هزيمة العرب مهما كانت قدرتهم العسكرية، ومن عناوين هذه السلسلة «داني دين في جهاز التجسس» ، : «داني دين بطل إسرائيل» ، «داني دين في الأسر» ، «داني دين في حرب الأيام الستة»،: «داني دين في جهاز الاستخبارات»، : «داني دين في الطائرة المخطوفة»، : «مغامرات داني دين»، : «داني دين بين الوحوش الضاربة». وتهدف هذه القصص إلى غرس الحقد والعداوة ضد الدول العربية جميعها، وتوثيق ثقة الأطفال اليهود بجهاز الأمن الإسرائيلي، وترغيبهم في العمل في هذا الجهاز لمصلحة الوطن[١٥٣]. وهناك عملية فكرية تجري في المناهج والمقررات الإسرائيلية لتشويه صورة الإنسان العربي ، ونزع الصفات الإنسانية عنه فيما يعرف بمصطلح اللاإنسانية **DEHUMANIZATION** بالإضافة إلى تشويه تاريخه وتصويره في صورة التاريخ الضاري الذي يثير الفزع من أصحابه، وهذا يحدد المستوى الوظيفي الذي يقوم به هذا النوع من التلقين الفكري للنشء الإسرائيلي . فالوظيفة السلوكية الناتجة عن تحقير الخصم وتجريده من صفاته الإنسانية تتمثل في سهولة الفتك به والعدوان عليه باعتباره كائناً خطراً يجب المبادرة إلى القضاء عليه، كضرورة أمن وكضرورة حياة حتى لا يعطى الفرصة للانقضاض على الكيان الصهيوني[١٥٤].

ووقفة عند بعض النماذج التي تقدمها موسوعات الشباب العبرية حول الإنسان العربي كصاحب تاريخ توضح لنا التلقين الذي تؤديه هذه الموسوعات في شحن النشء الإسرائيلي بالكراهية للتاريخ العربي ولورثة هذا التاريخ. إن تأمل المواد المنشورة تحت عناوين: « الجزيرة العربية » و«إسلام» والمكتوبة بأقلام أساتذة للتاريخ في الجامعات الإسرائيلية تأتي ليس فقط كصورة مقلوبة للتاريخ ومشوهة للحقائق التي ترصدها السجلات عن أوضاع اليهود في الجزيرة العربية، وعن مؤامراتهم ضد الإسلام في

صدره الأول، بل إنها تأتي كذلك لتضع اليهود المتآمرين موضع الضحية البريئة التي لقيت عقاباً لم تكن تستحقه، إن هذه العملية يحددها مصطلح VICTIMIZATION وهو يدل على تلك الحيلة التي يلجأ إليها المعتدي ، لتبرير عدوانه أمام نفسه وتصوير نفسه في صورة الضحية البريئة التي لا تستحق ما ينزل بها من عقاب ، ولا تخفى على فطنة القارىء أن مثل هذه العملية التلقينية للنشء الإسرائيلي في موسوعة: (أنسايكلوبيدي لنوعر) ، والتي ما زالت طبعاتها تتجدد، إنها تهدف إلى شحن النشء الإسرائيلي بعداء للتاريخ العربي والدين الإسلامي معاً ، توطئة لإدخال النشء في حالة الكراهية الشعورية ثم في حالة العدوان السلوكية ضد العرب .

إن المجال هنا هو مجال التعرض لخطوط عريضة ، وليس مجالاً للإيغال في التفاصيل ، ولذا فإن الإشارة إلى الدراسة التي أعدها اديركوهين أستاذ أدب الأطفال بجامعة تل أبيب، والتي قام خلالها بدراسة محتوى حوالي ألف كتاب من كتب تثقيف الأطفال في اللغة العبرية تكفي للدلالة على حالة التعمد من جانب مؤلفي كتب الأطفال الإسرائيليين اللجوء إلى أساليب التلقين العدائي، والشحن العدواني ضد الشخصية العربية، فقد أثبت كوهين في بحثه المنشور بالعبرية تحت عنوان: « بانيم مخو عاروت بمرآه» أي : « وجه قبيح في المرآة » ، أن تحليله لمضامين ألف كتاب عبري قد أثبتت أن هناك صورة مخيفة للإنسان العربي تعرضها كتب الأطفال الإسرائيليين ، وأن هذه الصورة تظهر العربي في شكل قاتل أو متخلف للأطفال ، وأن هذه الصورة مستقرة لدى ٧٥٪ من أطفال المدارس الابتدائية الإسرائيليين. كذلك أوضح البروفيسور كوهين أن الصورة الحضارية للإنسان العربي لدى التلاميذ الإسرائيليين والمأخوذة عن كتب التثقيف هي صورة مزرية ، فالعربي يظهر عادة في صورة صاحب الوجه القبيح القذر صاحب الأظافر الطويلة ، أما من حيث فهم الأطفال الإسرائيليين لنوايا العرب تجاههم وهي النوايا التي توردها كتب التثقيف فتعبر عنها عبارات غالبية الأطفال الذين سألهم

البروفيسور كوهين وجاءت العبارات الغالبة كالتالي: « العرب يريدون قتلنا واحتلال مدننا وإلقاءنا في البحر» ، وهي العبارات التي انعكست وظيفياً في سلوك الأطفال الإسرائيليين في تعبيرهم عن الرغبة في التخلص من وجود العرب في فلسطين باعتباره وجود لأجانب خطرين يجب التخلص منهم، أولاً إثباتاً لحق اليهود في الأرض، وثانياً لتجنب الخطر العربي[١٥٥]. ولعلنا نحيل القارئ إلى الأجزاء المتقدمة من هذه الموسوعة ليطلع على صورة النبي محمد ﷺ عند اليهود ، وكذلك نظرة اليهود لأهل الأديان الأخرى مما تنضح به كتبهم من أمور تقوم على إنتهاك حقوق الإنسان .

إن ما ذكرناه من نماذج عن مناهج التعليم الإسرائيلية وما فيها من تشويه لصورة الآخر العربي المسلم يكفي أن نتساءل من المطلوب أن يغير مناهج ومقررات التعليم في ظل ما ذكرناه من حقائق ووقائع عن نظرة اليهود إلى المسلمين في دينهم وتكذيبهم لنبيهم محمد ﷺ وفكر اليهود القائم على التمييز الديني والسياسي والاستعلاء الاستعماري قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

صورة الإسلام والمسلمين في مناهج التعليم الأمريكية

قد يستغرب القارئ حين يجد أن صورة العرب حتى قبيل منتصف القرن الماضي لم تكن معروفة لدى الأمريكان ، مع أهمية العرب حضارياً وجغرافياً وسياسياً ودينياً، فهذا قاموس ويبستر **Webster** المطبوع سنة ١٩٢٣م يعرف لفظة عرب أو عربي بأنه: «المنبوذ أو المتسكع في الشوارع خصوصاً الطفل أو البنت الذي ليس له بيت»، وقد حذف هذا المعنى في الطبعات الحديثة في الستينات من القرن الماضي ، ويروي الأستاذ وليم لختنبرغ **William Leuchtenburg** في مقالته إدراك الأمريكان للعالم العربي أن إذاعة صوت أمريكا طلبت من أستاذ التاريخ المشهور في جامعة ييل الأمريكية فان ودورد استدعاء (٢٢) إثنين وعشرين مؤرخاً أمريكياً مشهوراً ليكتبوا تاريخ الشعوب وعلاقتها بأمريكا ليذاع من إذاعة صوت أمريكا بعنوان :

المنهج المقارن للتاريخ الأمريكي **The Comparative Approach to American History** فلم يجد واحداً من هؤلاء يستطيع أن يكتب عن العرب. ويضيف أن عدداً آخر من الكتب المشهورة والتي ينتظر القارئ أن يجد فيها ذكراً للعرب أو لحضارتهم، ولكنه مع الأسف لم يجد فيها ذكراً لهم، ومن هذه الكتب كتاب: (المؤثرات الأجنبية على الحياة الأمريكية) **Foreign Influences in American Life** وكتاب : (المهاجرون في التاريخ الأمريكي) **Immigrants in American History** وكتاب : (أمة الأمم) **A Nation of Nations**، الذي يتحدث عن مختلف الأجناس والثقافات التي شكلت هذه الأمة (أمريكا) ولكنه كما هو الحال في الكتب السابقة لم يجد ذكراً للعرب .

ويزيد من الحيرة أن هذه الكتب تحدثت الكثير عن الأقليات الأوربية والأسيوية الأقل عدداً وأهمية ، مع ذلك أهملت ذكر العرب الأكثر عدداً وأكبر أهمية، ويقود هذا الاستغراب إلى احتمالات ربما تكون سبباً في إغفال أثر العرب في حياة الأمريكان، من ذلك مثلاً : قلة احتكاك الولايات المتحدة بالعرب ، أو اختلاف تجربة العرب وحياتهم اختلافاً تاماً عن تجربة الأمريكان وحياتهم ، والاحتمال الثالث هو أن المؤرخين الأمريكيين يجهلون تاريخ العرب وتجربتهم في أمريكا والاحتمال الثالث هو الأرجح، ويمضي في تحليل هذه الاحتمالات وأثرها في عدم تكوين صورة جيدة عن العرب في أمريكا[١٥٦] ، ويرى أن العرب في أمريكا غير قادرين في إطار أوضاعهم الحالية على مواجهة جذرية لقضية المهاجرين، إلى جانب هذا التقصير العربي ، فإن الدعاية اليهودية غذت العقل الأمريكي بأفكار زائفة أو محرفة عن العرب وعن الوطن العربي ، وأصبح من الصعب على تلك الجهود الفردية أن تمحو ما يرسمه الإعلام اليومي من جريدة وتلفاز بل وكتاب . وقد قام عدد من الباحثين بدراسة تسلط الدعاية الصهيونية على الفكر الأمريكي ابتداءً من الطفل في المدرسة حتى الكهل في البيت مروراً بالموظف في عمله[١٥٧] .

وفي دراسة للأستاذ إياد القزاز عرض فيها لثماني دراسات للكتب المدرسية

الأمريكية التي تتناول الوطن العربي أجريت في بداية السبعينات من القرن الماضي ملخصها أن هذه الكتب تعطي صورة جزئية وناقصة جداً بل ومحرفة عن العرب وثقافتهم. فهي تناقش حياة البدو وطرق الزراعة ، والحياة في المدينة والتعليم الابتدائي ، وأن نشر الدين الإسلامي تم بالسيف ، وتخلص الدراسة إلى نتيجة مؤداها أن العرب مازالوا بدواً وأن مدنهم خليط من مظاهر الحياة البدوية من قذارة وجفاف وجمال وبغال ... إلخ ، كل ذلك في صفحات محدودة ، بينما أعطيت إسرائيل ، صفحات أكثر، فهي البلد الديمقراطي في المنطقة وهي البلد الذي حول الصحراء إلى جنات خضراء ، وبالطبع فإن هذا التقويم للثقافة العربية كان من وجهة نظر الثقافة الغربية وليس من وجهة نظر علمية محايدة ، وبما أن الطالب يستقي معلوماته عادة من الكتاب ومن المعلم فإن الدراسات السابقة تثبت بأن ٦٠٪ من المعلمين استخدموا مادة الكتاب لعدم اطلاعهم على مصادر أخرى وأن قلة منهم نسبتهم ٦٪ ـ١٦٪ تلقوا دورات خاصة عن الشرق الأوسط مرة إلى ثلاث مرات[١٥٨].

وفي مقابلات شخصية مع عدد من الطلاب الأمريكان وعدد من الرجال والنساء في أعمار مختلفة من مدينة شيكاغوا أجابوا عن سؤال عام حول تصورهم للعرب قديماً وحديثاً ، أجابوا أنهم كانوا يتعاطفون مع إسرائيل لأنها الدولة الوحيدة التي تمثل الديمقراطية في المنطقة ، وأن الدول العربية الأكثر عدداً تريد إفناءها ، بالإضافة إلى أن اليهود الذين يعيشون في فلسطين قد ذاقوا الويل مع النازيين . وأما الآن فإن اليهود قد أخذوا يرددون ما كان يردده النازيون من أن خير دواء للفلسطينيين هو قتلهم ، فقال وزير دفاعهم أن خير دواء للفلسطينيين هو إبادتهم ، ولهذا وجدوا أن العطف لا يجوز على هؤلاء القتلة ، وأعربوا عن إعجابهم بالعلاقات الأسرية عند العرب والمسلمين وإيمانهم القوي بها كما أعجبوا بكثير من القيم العربية . ويرجع لختنبرغ **William Leuchtenburg** وجم مكرتني **Jim McCartney** تحسن الصورة

إلى عام ١٩٧٣م حين استعمل العرب النفط كوسيلة سياسية جعلت الكثير من الأمريكان يشعرون بأهمية الجانب العربي وبالتالي يدرسون الصراع العربي الإسرائيلي من وجهة نظر محايدة ، وقد تبع ذلك جهود مكثفة من جانب الدول العربية لإظهار مقصد العرب وتفنيد دعاوى اليهود من أن العرب ينوون إغراقهم في البحر . يضاف إلى ذلك أن أجهزة الإعلام في فترة الثمانينات من القرن الماضي أخذت تتيح المجال للعرب أو مناصريهم بأن يعبروا عن آرائهم ، ففي البرنامج اليومي الذي تذيعه محطة ABC في كل الولايات المتحدة تحت عنوان **Nightline** عقد المشرف على البرنامج تدكوبل **Ted Koppol** حواراً بين عدد من الشخصيات الرسمية وغيرهم من الأساتذة لمناقشة دور التلفزيون في نقل أخبار الرهائن الأمريكان في بيروت ، في ذلك الحوار عرضت قضية الرهائن مرتبطة بملابسات سياسة أخرى وأهمها اختطاف اليهود لعدد (٧٣١) سبعمائة وواحد وثلاثون لبنانياً . ومع أن المناقشة احتدت لإخراج إسرائيل من القضية واتهام المختطفين بالاعتداء على الأمريكان المسافرين إلا أن أحد المشاركين وضح أن إسرائيل أولاً خالفت لائحة حقوق الإنسان باعتراف من ريغن باعتقالها للمسلمين اللبنانيين[١٥٩] .

إن صورة العرب في أمريكا كما رأينا مرت وتمر في مراحل ، أولها أن الصورة كانت مجهولة لدى الكثير من الأمريكان، ثم في مرحلتها الثانية أخذت تلتصق بالطابع السياسي فتسيطر على صورة العرب الوحشية والبداوة كما رسمتها الدعاية الصهيونية مستغلة الكتاب المدرسي والجريدة اليومية والبرامج التلفزيونية ، وفي مرحلتها الثالثة بعد السبعينات أخذت تتضح صورة العرب والمسلم جزئياً وعلى ما يبدو أن الصورة في طريقها إلى الوضوح والتقدير، ولكن لابد من زيادة فعالية المؤثرات التي تحسن الصورة وتعطي العرب والمسلمين قدرهم، ولتحقيق ذلك لا بد من أن يشعر المهاجر العربي بانتمائه إلى وطنه وأمته ، وحتى يتحقق ذلك لابد أن تكون أمته موطن الانتماء لا في تاريخها ومجدها الماضي فقط بل في الحاضر أيضاً ، لأن

الناس ولاسيما الأجانب في هذه الحال ينظرون إلى واقع الأمر وواقعه في العالم العربي مذهل بسبب التقسيم السياسي وعدم وحدة الأمر أو الرأي الذي تسبب فيه الاستعمار واستحسنه أصحاب السلطان والهوى .

مما سبق يتضح أن المناهج التعليمية والمقررات الدراسية في بعض دول العالم تتسم بالضحالة وعدم الدقة في المعلومات التي يتم تلقينها للتلاميذ خصوصاً إذا كانت عن الإنسان الآخر وحقوقه ، وخصوصاً إذا كانت المعلومات في تلك المقررات مفروضة على شعب بتأثير فكري نابع من قوة سياسية وإقتصادية مؤثرة كتأثير اليهود على بعض الحكومات والشعوب مثل ما تفعله لجنة إيباك **AIPAC** اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للعلاقات العامة، وإليك مثالاً لذلك فهذا شاب أمريكي في أوائل الثلاثينيات من القرن الماضي كان يعمل موظفاً في أحد البنوك الأمريكية في حديث له مع صحفي مصري يقول : لقد زرت بلدك، وكان من الطبيعي أن يكون سؤال الصحفي: وأي مدن زرتها في بلادي؟ رد: لقد استمتعت بالتجول في مدينة إيلات! إيلات هي الآن مدينة إسرائيلية، وقد كانت تسمى قرية « أم الرشراش» المصرية قبل أن تبتلعها إسرائيل! هذا الموقف يوضح ضحالة المناهج الدراسية التي يدرسها الطلاب الأمريكان سواء في المدارس الابتدائية أو الثانوية ، فإن منهم من يعتقد أن إسرائيل دولة عربية لأن فلسطين من حيث احتلال الإسرائيليين لها تقع في منطقة الشرق الأوسط حيث توجد معظم الدول العربية ، ولدى كثير منهم صورة ذهنية معينة عن العرب والمسلمين في الكتب التي يدرسها الطلاب الأمريكيون سواء في المدارس الابتدائية أو الثانوية أنها صورة ذهنية سيئة. وتلك الصورة الذهنية السلبية عن العرب والمسلمين سبقت بزمان هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، بل إنها تعود إلى حقبة الأربعينات، حيث يذكر ميخائيل سليمان أستاذ العلوم السياسية بجامعة ولاية كنساس، أن الشرق الأوسط حتى الحرب العالمية الثانية كان ينظر إليه على أنه محمية أوروبية، وكانت الولايات

المتحدة بشكل عام تنزل عند إرادة حلفائها الأوروبيين في تعاملها مع المنطقة. كذلك كانت النظرة الأمريكية إلى الشرق الأوسط وشعوبه موروثة عموماً عن أوروبا، والغريب أن التلفزيون الأمريكي كان قبل الحرب العالمية الثانية يعد أن «الوغد العالمي» هو اليهودي ، وكانت الصورة الذهنية عن الإنسان اليهودي أنه ذلك المراوغ الفاسد المرتشي والفوضوي والشره للمال[١٦٠].

ولبروز الولايات المتحدة كقوة عظمى ذات مصالح أساسية وبالتالي ذات حجم كبير في الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية نظرت أمريكا إلى العرب والعروبة (المعرَّفة بشكل غير واضح) كتهديد لمصالحها، لذلك تم نقل الصفات السيئة والصورة البغيضة من اليهودي إلى العربي، وأصبح رمز الشر هو العربي: «الذي يرتدي العباءة والكوفية » بدلاً من اليهودي الذي يرتدي « القلنسوة ونجمة داود» ، ويذكر الدكتور أديب خضور في كتابه : (صورة العرب في الإعلام الغربي) أن الاستشراق وجد في المناهج الدراسية المقررة على الطلاب الأمريكيين في مراحل التعليم المختلفة وسيلة فعالة لتشكيل وعي الأجيال وتصوير العرب كشعب بدوي مغرم بالغزو والنهب والسلب، والعربي «وثني كافر» و«الإسلام ديانة غير متسامحة» انتشرت بحد السيف فقط . وهناك عدد من الصور الذهنية السلبية عن العرب والمسلمين في الكتب الدراسية الأمريكية بشكل عام فالعرب في هذه الكتب: أثرياء كبار يشترون أمريكا ويتسببون في ارتفاع أسعار البترول والعقارات .

ـ يكرهون الغرب ويشكلون خطراً ، والمسلمون يكرهون المسيحيين .

ـ منظمة الدول المصدرة للبترول «أوبك» مرادفة للعرب ودائماً تأتي بمضمون سلبي .

ـ العرب أعداء العالم ومثيرو الحروب .

لقد عبر عن كل ذلك أفضل تعبير نيكولاس فون هوفمان الصحفي في جريدة (واشنطن بوست) حين قال إنه : « **لم تشوه سمعة جماعة دينية أو ثقافية أو قومية ويحط من قدرها بشكل مركز ومنظم كما حدث للعرب**»[١٦١]، وتعد الكتب

المدرسية وبخاصة تلك التي تتناول العلوم الإنسانية والاجتماعية مصدراً أولياً يستمد منه الطالب مواقفه واتجاهاته إزاء كثير من الجماعات العرقية المختلفة، إذ إن الكتب المدرسية الأمريكية تزود التلاميذ بما يحتاجون إليه من معلومات عن التاريخ وحضارات العالم الذي يعيشون فيه، كما يمثل المدرسون العنصر الآخر في عملية التعليم ، وهم لا يقومون بتلقين المعلومات فقط، بل يقدمون تفسيراً لمختلف الثقافات أيضاً، ويتأثر الطلبة بما يختاره المدرسون من نصوص وبما يولونه من تأكيد لموضوعات معينة، كما أن مضمون المحاضرات واتجاه النقاش في قاعة الدرس والواجبات الخاصة التي يكلف بها الطلبة كل ذلك يؤثر تأثيراً كبيراً على تفكير الطلبة، وهذه التأثيرات وغيرها تتدخل في نظرة الطالب الثقافية إلى نفسه وإلى الجماعات العرقية الأخرى خصوصاً شعوب الوطن العربي .

ومثلما يؤدي التعليم المقصود إلى تعزيز المواقف الإيجابية، كذلك يمكن أن تنشأ الصور السلبية عن الشعوب الأجنبية من أخطاء الحذف أو التحريف خلال عمليات التعليم، وتحدث أخطاء الحذف عندما يفتقر النص أو أي موضوع يلقي ضوءاً إيجابياً على بلد ما، أما أخطاء التحريف فإنها تحدث عندما تقحم على النقاش أو النص وقائع أو مقولات غير دقيقة أو غير كاملة أو غير متصلة بالموضوع بقصد إشاعة صورة مشوهة عن البلد موضوع الحديث والدراسة.

وننقل هنا كلمات عالم التربية الأمريكي لوثر إيفانز الذي تحدث عن المناهج والمقررات الدراسية في الولايات المتحدة الأمريكية فقال : «إن الكتب المدرسية والمدرسين يمكن أن يكونوا بمثابة البذرة لمحصول من التفاهم الدولي والصداقة الدولية من خلال عرض الحقائق عرضاً صحيحاً من الناحيتين الكمية والنوعية وبمنظور سليم، ولكن يمكن أيضاً أن يكونوا بذرة لمحصول من سوء التفاهم والكراهية والازدراء بين وتجاه أنماط الحياة الأخرى وذلك من خلال عرض المقولات غير الدقيقة وغير المتوازنة وغير المناسبة على أنها حقائق وهذا الأمر يؤدي إلى صراع الحضارات وليس حوارها

مما يفضي إلى ضياع حقوق الإنسان كما يحدث في بلادنا»[١٦٢].

ونظرة إلى بعض المقررات الدراسية في الولايات المتحدة الأمريكية تبين صورة الإسلام والمسلمين فيها حيث تتناول كتب المدارس العليا الأمريكية الشرق الأوسط بصورة سلبية وعن هذا الأمر يتحدث جليد بيري عن التعليم الأمريكي مما هو موجود في عشرين كتاباً مدرسياً تستخدمها المدارس الثانوية الأمريكية بمرحلتيها، حيث جاءت معالجة وتفسير الإسلام خليطاً من المواد الدقيقة والمبهمة وغير المتميزة بالاستيعاب الكامل، وهناك تأكيد عام في هذه الكتب على الحضارات الإسلامية في العصور الوسطى، وتصور تلك الكتب الإسلام على أنه لا يقبل التسامح ، وهناك سوء فهم لتعاليم القرآن والذي يوصف أحياناً بأنه من جمع النبي محمد ﷺ، كما تخلط معظم تلك الكتب النصوص بين العرب والمسلمين، ولا توضح أن حياة البدو تمثل الاستثناء في هذه المنطقة ، وتتم مناقشة الصراع العربي الإسرائيلي وهو لا يميل نحو العرب ولو بدرجة طفيفة. وقد اعتبرت خمسة من النصوص الستة عشر التي تناقش هذه القضية بأنها موضوعية إلى حد ما وتمجد معظم النصوص التقدم الإسرائيلي والدولة اليهودية دون أن تتضمن مناقشة مماثلة للإنجازات العربية ، وتخلو الكتب من أي نقاش لأسباب معارضة الفلسطينيين والعرب للصهيونية وإسرائيل .

وتتسم بعض المناهج الدراسية للأطفال في المرحلة الابتدائية بسوء الفهم عند التعامل مع العالم العربي في كتب مدرسية أمريكية مختارة للأطفال مما جاء في دراسة للباحثة عدوية العلمي ، وقد قامت المؤلفة أثناء دراستها بجامعة ولاية كنت بزيارة كثيرة للمدارس وألقت محاضرات عن الوطن العربي في ولايات أوهايو وكولورادو وألينوي وبنسلفانيا وجورجيا، حيث اكتشفت أن المعلومات المقدمة كانت غير كاملة وغير دقيقة ومشوهة ، ودفعتها هذه التجربة إلى دراسة صورة العرب في كتب المدارس الأمريكية فاتضح ما يلي : تُكَّرس مساحة كبيرة جداً لبعض النواحي غير الأساسية للحياة والثقافة في الشرق الأوسط، فقد كان المؤلفون

يغالون في كثير من الأحيان في تأكيد صورة البدو مع إيراد صور فوتوغرافية في أغلب الأحيان لتثبيت هذا النمط .

ـ تُؤكد الكتب فقر المزارعين العرب والمسلمين في حين تصور المدن بأنها تزخر بالعاطلين عن العمل مع قلة من أصحاب الملايين يركبون السيارات الفارهة، وتتضمن الكتب إشارة مؤكدة إلى أن مشكلات الشرق الأوسط الاقتصادية يمكن حلها عن طريق ربطه بالكامل بعجلة الغرب .

ـ معالجة الإسلام بطريقة مبسترة وإغفال اتصاله بالديانتين السابقتين مع إبراز غرابة بعض الممارسات الإسلامية ، والتلميح إلى أن الصعوبات التي تواجه الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ترجع بصفة رئيسة إلى الطابع السلبي للقومية العربية ونفوذ الاتحاد السوفيتي وعداء العرب لإسرائيل وتعاظم نشاط الأصوليين ، ويتم تصوير إسرائيل على أنها الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط مع عرض الحروب الإسرائيلية العربية الأربع من وجهة نظر إسرائيل فقط وتجاهل المنظور العربي والفلسطيني، و تخصيص مساحة ضئيلة أيضاً للأتراك وتصويرهم في إطار صليبي، فقد وصفوا بأنهم مستبدون وقساة عندما كانوا يتولون شؤون الأراضي المقدسة، وألقيت على عاتقهم مسؤولية قتل السكان المسيحيين وسوء معاملتهم[١٦٣].

وكشفت الدراسات العلمية أن الأغلبية الساحقة من المدرسين يفتقرون إلى التدريب الكافي والنوعي عن الشرق الأوسط، ويرى معظمهم أن الموضوع يشكل مادة مهمة يتعين إدراجها في المنهج في حين تتركز معظم الكتب المدرسية حول التاريخ القديم، إلا أن غالبية المدرسين يعربون عن اهتمامهم بالقضايا المعاصرة، ويظهر معظم المدرسين معرفة كافية بالقضايا المعاصرة ومجريات الأحداث إلا أنهم يخفون تحيزهم، وكذلك فإن الأسماء الأجنبية للباحثين تؤثر على استجابات المدرسين على نحو ما تبين من عدم رغبتهم في الرد على أسئلة تتصل بالموضوع ، وقد أظهر المدرسون معرفة بإسرائيل ومصر أكثر من معرفتهم بالبلدان الأخرى .

وإذا كانت هذه الصورة المتحيزة عن العرب في مناهج الدراسة بالمدارس الابتدائية والثانوية في أمريكا الشمالية الولايات المتحدة وكندا فقد تزامن في الوقت نفسه حملات مكثفة في مواجهة كل من يحاول أن يكون منصفاً أو أن يقدم منهجاً موضوعياً حتى في الجامعات الأمريكية، ووصل الأمر إلى حد تهديد ناطقين يعتبرون منتقدين لإسرائيل ومؤيدين للعرب. وقد ساء هذا الوضع جداً منذ بضع سنوات، كما تشهد بذلك وثيقة سرية وزعتها اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للعلاقات العامة إيباك AIPAC وتضمنت لائحة بأسماء من ذكرت أنهم معارضوا إسرائيل ومروجو دعايات، مؤيدة للعرب في حرم الجامعات الأمريكية وهي لائحة قام بتوزيعها على أعضاء المكتب الإقليمي لنيو إنجلاند التابع لحلف مقاومة الافتراء لمنظمة « بناي بريث» New England Regional Office of the Anti-defamation, League of B'ani B'irth بالإضافة إلى ذلك فقد وقعت ضغوط شديدة وحملات دعائية ضد إنشاء برامج عربية في الجامعات ، بحجة أنها ستكون ضد إسرائيل أو أنها ستتعاطف مع العرب، وبالتالي فقد كان على مركز الدراسات العربية المعاصرة Center for Contemporary Arab Studies في جامعة جورج تاون ومعهد الدراسات العربية والإسلامية المعاصرة Institute for Contemporary Arab and Islamic Studies في جامعة فيلانوفا أن يجاهد كثيراً في سبيل استمرارهما، وقد حوربت مراكز أخرى عربية أو إسلامية. واستطراداً فإن أية هدايا أو منح من مصادر عربية حتى عندما تكون غير محظورة تكون موضع اتهام ومعارضة شديدة وناجحة في الغالب[١٦٤] . هل مثل هذه الاتجاهات والكراهية موجودة في المناهج الدراسية السعودية مما يطلب تغييره؟

لقد رصدت اللجنة العربية لمكافحة التمييز ADC مجموعة من الصور النمطية السلبية الموجودة داخل مناهج التعليم الأمريكية عن المسلمين والعرب، وهي أيضاً صور منتشرة داخل أوساط المجتمع الأمريكي المختلفة، ويقصد بالصور النمطية هنا مجموعة أبناء جماعة أخرى، وتتميز الصور النمطية في العادة بالعمومية وبعدم

استنادها إلى حقائق موضوعية وبراهين قطعية ، وقد قسمت صور المسلمين والعرب النمطية السلبية إلى سبع مجموعات رئيسة هي :

١ ـ الصور النمطية العامة التي تصف العرب جميعاً بأنهم «راكبو جمال» ، «يضعون نشافات على رؤوسهم» ، «عبيد الرمال» ، «كل العرب مسلمون وكل المسلمين عرب»، «القبيلة» ، «البدو» ، «الواحة» ، «الجمال» ، «الصحراء»، «الحريم» ، «الشيخ» .

٢ ـ صور نمطية عن العالم العربي والتي تصور العالم العربي على أنه «ساحة تنافس يعيش فيها الأبطال الغربيون مغامراتهم العاطفية»، «ألف ليلة وليلة»، « الجن »، «البساط السحري»، «الأميرات»، «وزير شرير ظالم».

٣ ـ صورة نمطية عن المسلمين والتي تصف المسلمين على أنهم «سفاحون»، «إرهابيون»، «محاربون» ، «متطرفون» ، «مغتصبون» ، «مُضَطهِدُون للمرأة» ، «الجهاد» ، «الحرب المقدسة».

٤ ـ صورة نمطية عن الفلسطينيين والتي تصور الفلسطينيين على أنهم «يحاولون تدمير إسرائيل وإغراقها في البحر»، «مفجروا طائرات»، «إرهابيون» .

٥ ـ صورة العرب الصالحين، وهؤلاء ينظر إليهم على أنهم «شخصيات ثانوية دونية»، «سلبيون»، «شخصيات ثانوية بالنسبة للأبطال الغربيين»، «قلما يكونون أبطالاً».

٦ ـ صورة الرجل العربي ، وينظر له على أنه «شيخ بترول » ، «ثري جداً» ، «مسرف»، «يريد شراء أمريكا بماله» ، «طماع» ، «قذر» ، «غير متعلم»، «غير أمين»، «ديكتاتور»، «فاسد»، «عنيف»، «خائن»، «بربري»، «يكره اليهود والأمريكيين»، «عنده خطط سرية لتدمير أميريكا»، «قاس»، «مخادع» ، «عصبي المزاج»، «غير عقلاني» ، «يخطف النساء والشقروات الغربيات».

٧ ـ صورة المرأة العربية ، وينظر لها على أنها «مضطهدة من الرجال العرب والمسلمين»، «حريم مترفات»، «راقصات عاريات»، «سيدات جميلات يقعن في حب الرجل

الغربي الذي ينقذهن من شر الرجل العربي»، «أسيرات المنازل» ، «سلبيات»، «مخفيات عن العيون» ، «غير متعلمات» ، «بلا وجوه ولا شخصيات ولا أصوات»[١٦٥].

هل هذه صور الحق والحقيقة في مناهج التعليم الأمريكية؟ وهل تلك صورة موضوعية أو علمية، إننا نطلب من القارىء أن ينظر إلى الحق وتأصيل المبادىء الحقوقية في هذه الموسوعة بوجهيها الإسلامي والإنساني ثم نقول للأدعياء هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

ولكن إن تناول هذه الصورة النمطية في المناهج التعليمية الأمريكية تقابلها محاولة لتقديم صورة منصفة عن الإسلام من خلال الجهود التي تبذلها بعض المنظمات الأمريكية، الخاصة منها والحكومية لمكافحة تحيز المناهج التعليمية الأمريكية ضد أبناء الجماعات الإثنية والعرقية والدينية المختلفة بما في ذلك المسلمون والعرب . فالواضح أن في الولايات المتحدة حركة كبيرة وناجحة لمكافحة التمييز ونشر التعددية الثقافية، وما وجود هذه المنظمات لمكافحة التمييز في مناهج التعليم إلا دليل على إنكار الآخر واستئصاله وعدم الاعتراف بحقوقه ، وقد اكتسبت حركة هذه المنظمات زخماً جديداً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م خصوصاً فيما يتعلق بتعاملها مع قضايا التحيز ضد المسلمين والعرب في مناهج التعليم الأمريكية، ويمكن رصد هذا الزخم على مستويين أساسيين، أولهما : اهتمام بعض أكبر المنظمات التعليمية الأمريكية بتطوير أبحاث ومناهج وبرامج دراسية تعالج مشكلة التحيز ضد المسلمين والعرب في المناهج التعليمية الأمريكية بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م. فعلى سبيل المثال قام اتحاد التعليم الوطني NEA وهو أكبر اتحاد للمعلمين في الولايات المتحدة بمناسبة مرور عام على أحداث سبتمبر ٢٠٠١م بتطوير بعض المواد التعليمية التي تهتم بترسيخ التسامح، من بينها مواد تعالج التحيز ضد المسلمين والشرق الأوسط وتقارنهم بخبرة اليابانيين الأمريكيين

الذي وضعوا في معسكرات اعتقال خلال الحرب العالمية الثانية ، ومواد تطالب المعلمين بتجنب إلقاء اللوم على المسلمين بخصوص الهجمات. وعلى مستوى ثان اهتمت المؤسسات التعليمية الأمريكية المختلفة على شتى المستويات خلال عام ٢٠٠٢م اهتماماً كبيراً بدراسة أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م من حيث أسبابها وأبعادها وآثارها، إلى الحد الذي دفع جامعة مثل جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس UCLA والتي تعد إحدى أكبر جامعات الولايات المتحدة إلى وضع (٤٩) تسع وأربعون مادة بحثية متعلقة بهجمات سبتمبر، الأمر الذي أدى إلى زيادة اهتمام هذه المؤسسات بتدريس المواد التعليمية التي تتناول المسلمين والعرب والإسلام والعالم الإسلامي[١٦٦].

وفي مقابل هذا الانفتاح ظهرت جماعات في غالبيتها يمينية محافظة ترفض المواد التعليمية الجديدة التي تركز على التسامح ، وترى أن هذه المواد التعليمية لن تساعد الطلاب على فهم الأيديولوجيا التي قامت على أساس منها الهجمات ، كما اتهمت هذه الجماعات المحافظة المدرسين الراغبين في تدريس هذه المواد بأنهم مشكوك في وطنيتهم وفي ولائهم للولايات المتحدة ، وقد نجحت بعض هذه الجماعات في إجبار اتحاد التعليم الوطني على إزالة بعض المواد التعليمية التي تحث على التسامح من على موقعه على الأنترنت، وفي حادثة أخرى فشلت جمعية أمريكية محافظة تسمى: «مركز اتحاد أسر الأمريكية للقانون والسياسة» في إجبار جامعة نورث كارولينا على عدم تدريس كتاب يتناول بعض تعاليم القرآن الأساسية كان من المقرر أن تضعه الجامعة على قائمة قراءات ومناقشات (٤٢٠٠) أربعة آلاف ومئتان طالب من طلابها الجدد في بداية العام الدراسي الجديد، وذلك بعد أن لجأت الجماعة المحافظة وبعض طلاب الجامعة إلى القضاء الأمريكي، وبعدها قرر القضاء في شهر أغسطس ٢٠٠٢م، السماح لجامعة نورث كارولينا بتدريس كتاب عن القرآن لطلابها بعد أن رأت المحكمة أن تدريس القرآن لا يمثل تهديداً للحريات الدينية في أمريكا .

وقد اشتكت الجماعات المحافظة التي حاولت منع تدريس الكتاب من أن تدريس الكتاب يمثل جهداً لتعميد الطلاب في عقيدة دينية ولنشر دين معين ، وأنه لا يجب أبداً أن تستخدم أموال دافع الضرائب الأمريكي في مثل هذه الأنشطة. كما اعترضت على أن الكتاب يحتوي على قرص معدني مسجل عليه آيات قرآنية، في حين رأى المشرفون على البرنامج أن الكتاب لا يحتوي على أية عبارات تبشيرية أو أية عبارات غير موضوعية عن الدين الإسلامي[١٦٧]، وأن الغرض من قراءته هو رفع قدرات الطلاب التحليلية، إذن من الذي يجب أن يترك التمييز الديني ويسعى إلى تغيير مناهج ومقررات الدراسة والتعليم؟، ومن الذي ينتهك حقوق الإنسان؟

وربما لا يخفى على كثير من الناس الموقف السياسي الأمريكي تجاه مناهج وسياسات التعليم في الدول العربية والإسلامية ، فعلى المستوى السياسي يمكن الحديث عن ثلاثة أنواع من المواقف السياسية التي اتخذتها دوائر سياسية أمريكية مختلفة تجاه مناهج التعليم في الدول العربية والإسلامية منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١م هي :

النوع الأول: ما قامت به الإدارة الأمريكية ووزارة الخارجية الأمريكية بالإتصال مباشرة ببعض المسؤولين في البلاد العربية والإسلامية محل قلق الولايات المتحدة بشأن اتخاذ إجراءات وإصلاحات على النظم التعليمية في هذه البلدان تضمن تخفيف مشاعر العداء للولايات المتحدة التي قد تنتج عن المقررات والبرامج التعليمية القديمة في تلك البلدان .

النوع الثاني : يرتبط بخطط الولايات المتحدة الخاصة بمساندة الإصلاحات الديمقراطية في العالمين العربي والإسلامي من خلال دعم برامج عدة وأنشطة أساسية مثل: حقوق الإنسان وحقوق المرأة والإصلاح التعليمي ، وقد أشار تقرير صحفي نشرته إحدى الصحف الأمريكية إلى أن الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش قد طلب من وزارة الخارجية في أوائل عام ٢٠٠٢م البحث عن وسائل توسيع الفرص الاقتصادية

والتعليمية في الشرق الأوسط العربي بما في ذلك خطط لتحديث المناهج في المنطقة.

النوع الثالث : يرتبط ببعض المواقف المتشددة التي اتخذتها بعض دوائر السياسة الأمريكية تجاه قضية مناهج التعليم في دول العالمين العربي والإسلامي بصفة عامة أو تجاه مناهج التعليم في دولة عربية ومسلمة بعينها ، وأخص هنا بالحديث موقف بعض أعضاء الكونجرس الأمريكي تجاه مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية، إذ قدم النائب الديمقراطي جيم دافيس الذي يمثل ولاية فلوريدا في مجلس النواب الأمريكي في ٢٧ يونيو ٢٠٠٢م مشروع قرار رقم ٤٣٢ يطالب فيه بما يلي:

- أن يقوم الكونجرس الأمريكي بمساندة عملية قيام حكومة المملكة العربية السعودية بمراجعة مقرراتها التعليمية .
- أن يطالب الكونجرس الأمريكي حكومة المملكة العربية السعودية بأن تضمن أن تكون عملية مراجعة المقررات التعليمية عملية مفصلة وموضوعية ومعلنة .
- حث حكومة المملكة العربية السعودية على إصلاح مناهجها الدراسية بأسلوب يضمن نشر التسامح وتنمية المجتمع المحلي[١٦٨] .

هذا طلب نائب ديمقراطي ، كيف لو كان هذا النائب غير ديمقراطي ـ أي ممن يسمون الاستبداديون ـ ماذا سيكون طلبه وكيف سوف يحققه وبأي أسلوب وهل تلك ديمقراطية أو شيء غير ذلك أم أن الأسماء أصبحت على غير مسمياتها؟ ودلت الاستطلاعات على أن مشروع القرار لذلك النائب حاز في ذلك الوقت على تأييد أكثر من (٥٠) خمسين عضواً من أعضاء مجلس النواب الأمريكي، ونتساءل هل ثبت لدى الداعين لتغيير مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية صحة ما قالوه؟ وهل هم سيعملون على تنقية مناهجهم مما فيها من سوء ضد الإسلام والمسلمين؟ وهل هم حريصون على إحقاق الحق وإقامة العدل بما يخص واقع إسرائيل والبلاد العربية الإسلامية ؟ قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[١٦٩]، هذا هو الحد الفاصل بين الحق والباطل وبين العدل والظلم .

صورة الإسلام والمسلمين في مناهج التعليم البريطانية

لعل أول ما يلحظه المتتبع لصورة العرب والمسلمين الشائعة في المناهج الدراسية في بريطانيا أن النزعة المركزية الأوروبية هي التي تتحكم في صناعة هذه الصورة على مستوى الوعي واللاوعي، والمركزية الأوروبية يمكن إدراجها ضمن نزعة أشمل منها هي المركزية الإثنية، ونعني بها الميل إلى الحكم على خصائص الحضارات الأخرى من موقع المجموعة الإثنية المسيحية، وهذا الاتجاه للمركزية الأوروبية يبدو واضحاً في الإعلام الغربي عموماً عندما توصف الدول العربية بأنها «جيران إسرائيل» ، أو عندما يتردد كلام عن ضرورة «إحلال السلام بين إسرائيل وجيرانها». فكأن هذه المنطقة الحضارية بأكملها لا وجود لها يتعدى الوجود السكاني «الديمغرافي»، فهي تستمد هويتها من كونها مجاورة للدولة العبرية، وهكذا ينقلب المصطلح الجغرافي إلى مصطلح آخر تستنبطه الأيدولوجيا، ويمكن القول إن فكرة أوروبا التي تمثل وحدة حضارية جامعة مانعة تمثل مركز العالم، وتدل على تفوق المركز على الأطراف تبلورت واكتملت في بريطانيا خلال القرن الثامن عشر، وقد تعززت هذه الفكرة على نحو تزامن مع نجاح حركة الاكتشافات الجغرافية والاستعمار والتجارة كالمدارس والجامعات التي أنشأها المركز الأوروبي في الأطراف، فتمكن بذلك من إحلال القيم الحضارية الأوروبية محل القيم المحلية، ويبين إدوارد سعيد في كتابه: (الاستشراق) كيف أن النزعة المركزية الأوروبية لم تقتصر على التأثير في العرب والمسلمين فحسب، بل أدت إلى صناعة تكوينات ثقافية بديلة تنسجم مع تصور الغرب عن الشرق في مرحلة ما بعد عصر النهضة[١٧٠].

كما رأى بعض دارسي الحضارة أن الأنثروبولوجيا أي (علم الإنسان) الذي يبحث في أصول الجنس البشري وأعراقه ومعتقداته وعاداته بدأ كشكل عام من أشكال البحث المعرفي الذي لم يكن قائماً قبل حركة الاستعمار وما رافقها من مفاهيم مركزية أوروبية تشمل المعرفة والحضارة معاً، وقد كانت صناعة «شرق»

مغاير للغرب، يمتلك خصائص عنصرية ثابتة لا تتغير، إحدى نتائج هذه الأنثروبولوجيا الاستشراقية التي كشف عنها إدوارد سعيد الذي انطلق في نقده من فكرة ميشيل فوكو حول علاقة شرعية المعرفة بالقوة مبرزاً خطر مفاهيم شائعة مثل: « العقل العربي» و « النفسية العربية » و «العقلية العربية» وغير ذلك من المصطلحات العنصرية ذات الطابع الجوهري الذي يصطنع نقاط المغايرة اصطناعاً فيفسد البحث الذي يزعم لنفسه نشدان الموضوعية، وهذا يعود إلى كونها صادرة عن المركز الأوربي المهيمن الذي يفرضها على الأطراف المهيمن عليها بصرف النظر عن مجانبتها للحقيقة والواقع[١٧١].

وفي تلك الفترة ظهرت بفعل هيمنة النزعة المركزية الأوروبية فكرة عنصرية خطيرة مفادها أن الحضارة الإغريقية كما تتمثل في المناهج الدراسية الغربية ، هي في حقيقتها أوروبية أو بالأحرى تعكس ما يدعى بـ « النموذج الآري » ، ولكن هذا النموذج كما بين الباحث البريطاني مارتن برنال في كتابه: (أثينا السوداء) تمت عملية تلفيقية من قبل الباحثين العنصريين في القرن التاسع عشر عندما أصروا على حدوث غزو آري من الشمال لا تشير إليه المصادر التاريخية إطلاقاً ، وهكذا أصبحت حضارة اليونان الكلاسيكية أوروبية المنزع ، بينما ألح الباحثون أنفسهم على نفي الدور الذي قامت به الحضارتان المصرية والفينيقية في تكوين هذه الظاهرة، ويشير برنال إلى أن عام ١٧٨٥م هو الذي حدثت فيه عملية تلفيق التاريخ هذه، ففي ذلك العام بدأ الترويج للمشروع العنصري الذي يؤكد النزعة المركزية الأوروبية، والذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من مناهج التعليم التي ما زالت تنكر الجذور الأسيوية والإفريقية للحضارة اليونانية الكلاسيكية على مدى قرنين من الزمان[١٧٢].

وقد تزامن مع عملية التلفيق هذه بروز مفهوم الحضارة المسيحية ـ اليهودية المستمدة من العهد القديم، والذي يصدر عن منطلقات مناهضة لحضارات سوريا ومصر وبلاد ما بين النهرين في الفترة التي سبقت الإسلام وأعقبته، وهذا المفهوم

يمثل بدوره وجهاً آخر من وجوه النزعة المركزية الأوروبية التي أثرت وما زالت تؤثر في بلورة المناهج المدرسية في بريطانيا، وثمة أمثلة عديدة على طبيعة الترسانة اللغوية الاصطلاحية التي ارتبطت بهذا المفهوم والتي تؤثر باستمرار على الطريقة التي تنظر فيها الأنظمة المعرفية الغربية الصنع إلى العالمين العربي والإسلامي.

ولعل من أشد الكلمات الاصطلاحية هذه إثارة للانتباه كلمة **Philistine** أي فلسطيني غير متمدن التي تُعد بصفتها هذه صفة تستعمل من أجل الدلالة على موصوف، وأما الاسم أو المصدر فيصبح **Philistinism** أي النزعة الفلسطينية غير المتمدنة. وقد اخترت هذه الكلمة بالتحديد لأنها تصلح للكشف عن حقل شبه مهمل في دراسات النزعة المركزية الأوروبية يتعلق بالكلمات ذات المحمول المعرفي القائم على الهوى أو الغرض الأيديولوجي أو التحامل أي «الحكم المسبق». لقد أدى هذا النوع من الكلمات بما ينطوي عليه من انحيازات عنصرية مسبقة دوراً مهماً في بلورة بنية اللاوعي المستقرة في أعماق الأوروبيين تجاه القضية الفلسطينية، بل لعله يمثل أحد الأعمدة التي ينهض عليها التصور التربوي الغربي لوجود تفوق حضاري أوروبي مطلق على الحضارات الأخرى غير الأوروبية وفي طليعتها الحضارة العربية الإسلامية[١٧٣].

والمشكلة في هذا التصور كما أسلفنا تكمن في أنه ينطوي على حكم مسبق فكلمة (فلسطيني ــ بربري ــ غير متمدن) صفه تطلق على موصوف لا تشير إلى الفلسطيني الذي عاش في فلسطين القديمة فحسب ، بل إن معناها الاصطلاحي الشائع المستمد من العهد القديم يشير أيضاً إلى كل من يظهر شعوراً بالعداء أو عدم الاهتمام تجاه القيم الجمالية والفكرية عموماً، وتعليل وجود هذا النوع من الكلمات التي تنطوي على تحامل مسبق هو أنها تنتمي إلى ترسانة من المفردات العنصرية القائمة على تصور أيديولوجي مناهض للحضارة العربية أصلاً.

وتكمن المفارقة في ذلك أن الدور العربي الإسلامي في تكوين الحضارة الغربية بدءاً من عصر النهضة في أوروبا قد استبعد من حسابات المؤرخين ، هذا على

الرغم من أن عصر النهضة في أوروبا كان في جوهره يمثل انتقالاً من مرحلة هيمنت خلالها فلسفة ابن سينا إلى مرحلة أخرى سيطرت فيها فلسفة ابن رشد التي أعادت ربط أوربا بالتراث الهليني بتأويلاته التي أصبحت أساساً للتقدم العلمي . وهذا الاستبعاد للدور العربي الإسلامي الذي لا تفرد له تواريخ الفلسفة الغربية أكثر من هوامش ثانوية ليس عفوياً قد اقترن بإبراز مبالغ فيه لما عليه مصطلح النزعة العبرانية والمقصود بهذه النزعة الإشارة إلى التراث العبراني، وهو في أحد معانيه حصيلة قراءة حرفية (أصولية) للعهد القديم باعتباره كتاباً في التاريخ.

ولا ريب في أن خطورة المشروع الثقافي الأوروبي تتجلى في الطريقة التي أثر بواسطتها على لغة النقد والفكر الإنجلوساكسوني في بريطانيا عندما أصبحت بعض أدوات النظرية الثقافية هذه عبارة عن مفردات مشحونة بأبعاد اصطلاحية متحاملة على الثقافة العربية الإسلامية بشكل مسبق الصنع في المناهج والمقررات الدراسية وغير من الكتب والمراجع.

ويجد القارىء والباحث بعض الصور المحرفة عن الإسلام والمسلمين في بعض مناهج ومقررات التعليم في بريطانيا ، مثل كتاب : (أديان العالم) لمؤلفيه زيمرمان ومير ، وكتاب: (محمد والامبراطورية العربية) تأليف: جون دكورت وكلاهما من الكتب المقررة لطلاب المدارس الثانوية وفيها يعلم الطالب الكثير من الباطل ومنها :

١ ــ أن معارضي النبي محمد ﷺ طلبوا منه أن يريهم معجزة فلم يستطع وقال معجزتي هي القرآن .

٢ ــ أن محمداً ﷺ اضطهد اليهود والنصارى لعدم قبولهم دينه .

٣ ــ أن محمداً ﷺ ادَّعى أنه نبي في وقت كان يعاني من مرض نفسي وعذاب عقلي وكان يسمع أجراساً في رأسه يظن أنها الوحي .

٤ ــ القول بأن النبي محمداً ﷺ كان اسمه قوطان .

٥ ــ كان محمد ﷺ يشجع على الانحراف العقدي والفكري بدعوى التجديد والتحديث وما أسماه التوحيد .

٦ ــ دعى محمد ﷺ الناس إلى طرق أخرى للصلاة.

٧ ــ ادعى محمد ﷺ أن المكان الذي اعتزم فيه إبراهيم أن يضحي بولده إسماعيل هو مكة ، والحقيقة أن إبراهيم اعتزم أن يضحي بإبنه اسحاق وليس إسماعيل في القدس وليس في مكة .

٨ ــ وعد محمد ﷺ أتباعه بالجنة إذا ما قاتلوا اليهود والنصارى لحب محمد ﷺ وأتباعه من العرب سفك دماء الأبرياء .

٩ ــ تتسم في محمد ﷺ صفات الشهوانية حيث تزوج تسعة زوجات وهو يدعو في دينه إلى تعدد الزوجات .

١٠ــ تضمنت هذه الكتب وغيرها اخطاء تاريخية منها أن ولادة الرسول ﷺ كانت عام ٥١٠م .

كيف إذن يطلب تغيير مناهجنا وهذا هو واقع ما يدرسه الطالب البريطاني في المدارس باستعلاء نزعة المراكز الأوروبية التي تجمع بين اليهودية والمسيحية في عداء سافر للإسلام والمسلمين وشحن أذهان الناشئة بالباطل وإيغار صدروهم بالحقد والكراهية ضد المسلمين.

وأخيراً هناك الوجه الثالث للنزعة المركزية الأوروبية التي يتمثل في ما يمكن أن يسمى بمرض فقدان الذاكرة الحضارية، فالمناهج الدراسية البريطانية والأوروبية، تصر باستمرار على تكريس مفهوم «الحضارة المسيحية اليهودية» مهملة بذلك وجود ثلاثة مصادر وليس مصدرين فقط للحضارة الغربية، وأساس هذا الإصرار أن الحضارة الغربية ذات جذر كلاسيكي (يوناني ــ روماني) وآخر مسيحي يهودي، وأن العناصر الكلاسيكية ضاعت حتى أعيد اكتشافها مرة أخرى خلال عصر النهضة، ولكن الحقيقة كما تشير إليها الكاتبة إلين رينلا **E.L.Ranelagh** في كتاب: (الماضي المشترك)، هي أن: ثقافة العصر الوسيط تحتم على الغربيين الاعتراف بأن الحضارة الغربية ذات جذر ثلاثي: يوناني ولاتيني وعربي، صحيح أن الأدب اليوناني وصل إلى الغرب

عن طريق الرومان وبواسطة اللغة اللاتينية، وصحيح أن القسط الأعظم من معارف اليونان التي اشتلمت على العلوم والفلسفة انتقل من البيزنطيين إلى العرب عن طريق الترجمة من اليونانية إلى العربية. ولكن العرب قاموا بدورهم في تطوير هذه المعارف التي نقلت إلى اللاتينية. بل إن مشاريع الترجمة التي أنجزت في إسبانيا وصقلية خلال القرن الثاني عشر كانت على حد تعبير المصدر نفسه بمثابة الجسور التي نقلت المعارف عبرها من العرب إلى أوروبا الغربية التي كانت متخلفة آنذاك»[١٧٤].

ويضيف المصدر إلى : « إن ما يهمنا إلى حد كبير ، نظراً لأنه ليس مألوفاً، هو تراثنا العربي، إن الشعب الذي أطلق عليه في القرون الوسطى اسم «السراسنة» كان يشمل مجموعات عرقية مختلفة كان منها يونان وفرس وهنود وأقباط وأتراك وأرمن ويهود، وقد مثلت الإمبراطوريتان البيزنطية والفارسية هذه الحضارات القديمة الغنية، ولكن انتشار الإسلام السريع في القرن السابع الميلادي فرض عليها حضارة جديدة هي حضارة فاتحيهم التي عبّرت عن نفسها بنمط عربي جديد من الحياة، حقيقته المركزية هي الإسلام، الدين الرسمي، ووسيطه في التعبير هو العربية لغة القرآن »[١٧٥]. هذا الطرح لفكرة الاعتراف بالجذر الثالث العربي الإسلامي للحضارة العربية ، والذي يبدو للقارىء العربي بديهياً ، ما زال خارج المناهج الدراسية المعتمدة في بريطانيا وأوروبا والولايات المتحدة، كما أن دور الحضارات السورية والمصرية القديمة في صنع حضارة اليونان القديمة ما زال فكرة خلافية بعيدة عن تلك المناهج حتى الآن ، آية ذلك كله أن حوار الحضارات والاعتراف بحقوق الإنسان من خلال الاعتراف بالآخر وحضارته لا يمكن أن يصبح مجدياً ما لم يُعد النظر مجدداً في صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية الغربية عموماً والبريطانية خصوصاً ذلك لأن هذه الصورة السلبية المنمذجة هي إحدى مصادر الوعي الأوروبي وأدواته اللغوية بامتدادتها الفكرية والثقافية في تصويرها المشوهة للإسلام والمسلمين[١٧٦].

صورة الإسلام والمسلمين في مناهج التعليم الفرنسية

الحديث عن مناهج التعليم الفرنسية وصورة الإسلام والمسلمين فيها لا يخرج عن إطار النزعة المركزية الأوروبية الموجودة في المناهج البريطانية للدلالة مضافاً إليها النزعة الفرانكوفونية ببعديها المسيحي والأوروبي، فنلاحظ أن نصوص الكتب المدرسية في كتب القراءة الفرنسية في المرحلة الابتدائية لا تفرق بين المفردات الثلاثة : « البدو» و «العرب» و «المورMoor» وتستخدمها بغير تمييز للدلالة على الشخصيات نفسها ويتأكد هذا التماثل في معاجم اللغة إذ يُعرّف مثلاً «البدوي» بأنه « عربي راحل من الصحراء » ، وتتسم شخصيات «العرب» أو «البدو» في القصص بطابع الدونية إذا كانوا تابعين ، أو بطابع عدائي إذا نجحوا في الهرب من نطاق نفوذ الشخصيات الفرنسية، ويبدو نقص الشخصيات العربية أو البدوية خلقياً وعقلياً واقتصادياً ومهنياً حينما يتم مقارنتهم بصفات أو أدوار لشخصيات فرنسية في هذه النصوص أو الكتب.

وإذا كان العرب تابعين للفرنسيين يوصفون بـ « المخلصين الأوفياء »، أما إذا أفلتوا من قبضتهم أصبحوا « أعداء متمردين » ، «نهابين» ، «مخربين» ، بل و«سفاحين»، وتهمل النصوص ذكر أية صفة من الصفات المعروفة للبدو في الثقافة العربية الإسلامية مثل الشرف والشجاعة والعرفان بالجميل وكرم الضيافة والتعاون والقناعة وقوة التحمل، ويبدو أن العربي « الطيب» أو البدوي «الطيب» استثناء شاذ في الكتب المدرسية الفرنسية، فإذا ما ظهر على هذا النحو كان ذلك كشخصية ثانوية « مجهولة ودون ملامح»، وأحياناً كشخصية « جامدة بغير حراك»، ولا تهتم النصوص وشروحاتها بذكر أي شيء عن العرب المعاصرين سواء كانوا في ديارهم أو في فرنسا، وهذا الاستبعاد المنظم للشخصيات العربية المعاصرة التي تعيش في صفوف وشوارع ومصانع فرنسا، يشير إلى أنه تجنب مقصود وليس مجرد غياب، وتحتوي بعض النصوص على وصف «أجنبية» عندما يكون المقصود «عربياً» أو

شخصية من المهاجرين العرب، وربما كان من باب التعميم الذي يحث على احترام الأجانب والابتعاد عن العنصرية ،ولم يقتصر التجاهل للعرب المعاصرين في فرنسا ، وإنما تم تجاهلهم أيضاً في بلادهم .حتى في نصوص القراءة والأسئلة التي تتعلق بالوطن العربي ، والاهتمام ينصب على الصحراء ولا اهتمام بسكان البلاد العربية وحضارتهم وثقافتهم[١٧٧].

إن تعليمات وزارة التربية الفرنسية التي أوضحت المبادىء العامة للتعليم الفرنسي في المدارس والكليات تؤكد أنها تهدف إلى تسهيل الاندماج في الجماعة الفرنسية و«الانفتاح على التعدد» و «إمكانية الانكشاف وتفهم الآخرين»، و«التعرف على الثقافات والحقائق الأجنبية»، ومن الواضح أن الصورة التي يمكن استخلاصها للعرب من تحليل كتب القراءة للمرحلة الابتدائية لا تتماشى مع هذه المبادىء العامة ولن تولد لدى التلاميذ إلا صورة مزيفة عن الآخرين وعن أنفسهم، فهي توحي للتلاميذ الفرنسيين اقتباساً من الماضي بإحساس التفوق الطبيعي، كما توحي للتلاميذ من ذوي الأصل العربي بإحساس سلبي ناشيء عن تحقير شأنهم وتشويه صورتهم، ومن شأن الخجل المكبوت لدى الصغار من ذاتهم أو من ذويهم أن يولد في نفوسهم ضيقاً وعذاباً قد يتحولان فيما بعد إلى اختلال في النظام .

أما صورة العرب في مناهج المرحلة الثانوية الفرنسية فقد تضمنت مقتطفات عديدة من الآداب الأجنبية مترجمة إلى الفرنسية إلا أنها تجاهلت الأدب العربي المعاصر، مع أنه أصبح الآن متوفراً بعد أن تمت ترجمة أعمال مهمة منه وقامت بنشرها دور فرنسية كبيرة خلال العقد الأخير، إلا أن الشخصيات العربية المذكورة في النصوص المختارة أفضل حالاً من تلك الواردة في المناهج الابتدائية وذلك من حيث الحالة الاجتماعية والمركز المهني ودور الشخصيات مقارنة بشخصيات فرنسية أخرى ، لكن هذا لم يصل إلى درجة الإنصاف، فما زالت الشخوص فقيرة وتعيش في أدنى السلم الاجتماعي، وحينما تتناول النصوص قضية زوجين شابين

فلسطينيين وصراعهما لبناء كوخ مريح في مخيم اللاجئيين الفلسطينيين، يتم تهميش الصراع الإسرائيلي الفلسطيني ويصرف اهتمام الطلاب لنزاع ثانوي بين الأجيال داخل المخيم، حول بناء بيت وعدم وجود مال كاف لذلك، دون أي اهتمام بالمشكلة الرئيسية وأسبابها، فالنص يخفي البؤس الاجتماعي والثقافي في مخيمات الفلسطينيين ولا يناقش أسباب قيام هذه المخيمات أصلاً.

ويلاحظ أن النصوص التي تدرس في هذه المرحلة تتجنب الحياة الحضرية التي يعيشها عرب اليوم ، وهو الأمر الذي يعبر عن الرفض أو عدم القدرة على رؤية السكان العرب في الأوضاع التي تقرب أكثر بينهم وبين الغربيين في حضريتهم وحداثتهم.

أما صورة العرب والإسلام في كتب التاريخ الفرنسية للمرحلة الابتدائية فهي تقتصر برامج التاريخ في الكتب المدرسية على تاريخ فرنسا، لذلك فمن المتوقع أن يكون الجزء الخاص للعرب محدوداً مقتصراً على التداخل بين تاريخ فرنسا وتاريخ العالم العربي الإسلامي وما نشأ بينهما من علاقات، ويلاحظ في نصوص هذه الكتب وجود تماثل بين المفردتين «عرب» و«مسلمين»، وتصف كتب التاريخ أداء أوائل الأبطال الوطنين الفرنسيين بالدفاعي البطولي المنتصر، بينما تميز العرب بمجموعة من الأفعال المعبرة عن التوسع أو العدوان، بينما يميل وصف أعمال العرب بالحياد كاستخدام كلمة «فتح» عندما يتعلق الأمر بالبلدان المجاورة في الشرق الأوسط أو ببلدان إفريقيا الشمالية، أما عندما يتعلق الأمر بفرنسا فنجد تعبيراً سلبياً يحمل مفهوم العنف والعداء مثل «غزا»، و«هدد»، كما يشار إلى الفاعلين بما يحقر من شأنهم : « الغزاة المسلمين» أو «القراصنة الفرنسيين»، ويتم تقديم الدين الجديد بصفة خاصة في سياق ذكر الحروب والفتوحات التي يخوضها المسلمون بهدف نشر الدين الجديد «الإسلام» ليس إلا ، دون أي إشارة إلى الجانب الديني للإسلام وما يميزه ، واستقبال الشعوب له بالترحاب، ويمكن أن نلخص الأمر في أنه يقتصر على التناول «العلماني» للإسلام ، حتى في تعامله مع الحضارة الإسلامية وإسهاماتها في الحضارة الغربية .

وتختلف كتب التاريخ في كيفية تناولها للحروب الصليبية، فيشار إليها أحياناً في إطار المعتقدات الخاصة بالعصور الوسطى أو في إطار كونها حركة دينية هدفها إنقاذ قبر المسيح في القدس والدفاع عنه ضد «الكفار» أي المسلمين ، أو كحملة عسكرية اتسمت بالمغامرة وتم توجيهها ضد أنصار ديانة أخرى، وبرغم احتواء الكتب على نقد لسلوك الصليبيين وفظائعهم ضد المسلمين ونهبهم الثروات والأموال والمنازل، إلا أن التركيز انصب على إبراز الفشل العسكري المتلاحق الذي حاق بها ، وحاول جاهداً عدم ربطها بلفظة أو وصف «المسيحي»، ولم يكشف عن الدوافع الرئيسية وراء هذه الحملات وأبرزها المطامع في ثروات الشرق الإسلامي .

ويجدر بنا أن نشير إلى أن الكتب المدرسية للجمهورية الفرنسية الثالثة (١٨٧٠ ـ ١٩١٤م) كانت تصف الإسلام بأنه: «دين مسخ ابتكره محمد الذي ادعى أنه نبي»، لكن الكتب المدرسية الحالية تبدي شيئًا من الاحترام للإسلام على إستحياء وتقدمه على أنه دين توحيدي عالمي، دون أن تتوسع في عرضه في المرحلة الابتدائية لأن دراسته مقررة في المرحلة الثانوية، لكن الكتب الحالية تتفق مع كتب الجمهورية الثالثة في تصوير الإسلام كدين يسعى إلى تحقيق الفتوحات العسكرية ، وتتفق كتب الفترتين على إبراز دور البطل الفرنسي « تشارلز مارتيل» الذي وضع حداً لاتساع الإسلام في الغرب. وتصف الكتب الحالية الإسلام كحضارة دون أن تفصّل العناصر التي تجعله كذلك ، ولا تتكلم إلا عن بعض إسهاماته القليلة وبطريقة محدودة ونقدية. وقدمت كتب الجمهورية الثالثة الحملات الصليبية على أنها رد عكسي لحركة الفتح الإسلامي لجنوب فرنسا ، بينما فصلت الكتب الحالية بين الحركتين ولم تفترض وجود أي استمرارية بينهما ، بل حرص بعضها على الإشارة للتجاوزات التي ارتكبها الحجاج المسيحيون ضد «العرب» أو ضد «غير المؤمنين» .

وصورة العرب في التاريخ المعاصر للشرق الأوسط مبدأ يصف الرابطة الأساسية للوحدة العربية بنظرة سلبية ، إذ تعتبر أن هذه الرابطة التي تجمع بين الدول

العربية هي مجرد «العداء الذي تكنه لإسرائيل» ، بل تصف ذلك بـ « العداء الراسخ » ولا يشير المؤلفون إلى أي دوافع إيجابية للوحدة العربية في أي سياق .

وعن صورة العرب المسملون في كتب الجغرافيا والتربية المدنية للمرحلة الثانوية فقد اتضح بالتحليل الدلالي لأماكن ورود كلمتي «العرب» و« المسلمون» في كتب الجغرافيا اتضح أن كلمة العرب ترد في سياق له طابع سلبي سائد يعبر عن معنى العدوان والمجابهة نحو : «خطط الغزاة العرب، واجتاح العرب إسبانيا ، وهددوا...» .

أما كلمة «المسلمين» فإذا استخدمت كانت في مجال معارضة الفرنسيين أو المقارنة بهم، أو المجابهة، كالتي قامت بين عالم الإسلام وبين «الإمبراطورية المسيحية لشارلمان الذي يعتبر الأب الروحي لأروبا»[١٧٨]، ويلاحظ وجود خلط بين معاني «العرب والمسلمين» و «العرب والإسلام» ويكثر استخدامها بشكل مترادف في كتب الجغرافيا والتربية المدنية وفي تناول الكتب لتجارة العبيد (الرقّ) حرص المؤلفون على تحميل العرب مسؤولية مشتركة مع الأوروبيين في رواج هذه التجارة، بل ذهبت النصوص إلى أن تجارة العبيد التي كان يمارسها العرب المسلمون كانت أشد خطورة ، حيث بدأت قبل الأوروبيين واستمرت لمدة طويلة بعد انتهاء الأخيرة ، وكانت أشد كثافة وهي محاولة ضمنية للتخفيف من مسؤولية الأوروبيين عن هذا الأمر. وهكذا نجد أن تهمة إبادة الجنسية السوداء أو السمراء قد انتقلت من الأوروبيين لكي تلصق بالعرب، وتصبح مبرراً بعد ذلك لحركة الاستعمار الأوروبي، كما أن كتب الجغرافيا على عكس كتب التاريخ نادراً ما تعترف بوجود العالم العربي ، وهي لا تشير إليه بالإسم ، ولتفسير ذلك سعى مؤلفوا الكتب المدرسية إلى تقسيم العالم إلى مناطق مناخية لا تُذكر بالاسم إلا أسماء الدول القائمة والقارات[١٧٩].

تلك بعض نماذج المقررات والمناهج الدراسية في بعض الدول التي تطلب من دول مسلمة وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية بتغيير مناهج ومقررات التعليم

مع ما في مناهجهم من صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين، وهي نفس الصورة التي يمكن تلمسها في كثير من المناهج التعليمية في كثير من الدول المعادية للإسلام التي تريد نفي الآخر العربي والإسلامي بممارسة أشكال التمييز العنصري والتمييز الديني من بعد حضاري وثقافي وفكري التي كانت وما زالت ولا نفتري على الله الكذب بما يشهد به التاريخ من حقائق ووقائع يمكن استعادتها بقراءة بعض أجزاء هذه الموسوعة في نظرة الآخر إلى بني الإسلام محمدﷺوصورته عند اليهود والنصارى، وحقائق محاربة المسلمين من خلال التمييز الديني والغزو الفكري وغيرها من وسائل إنكار الآخر وعدم الإقرار أو الاعتراف بحقوقه وإنسانيته في التاريخ القديم والحديث والمعاصر.

وقد يتجاهل المنافقون وغلاة العلمانيين عندما يتهموننا نحن المسلمين أننا الذي تضيق صدورنا بالآخر، ولا نتقبل التعايش مع الآخرين، وليس بجائز لأحد أن يقول : إن هذه الصفحة من صفحات الثقافة اللاهوتية (التي تدعمها القوى الاستعمارية والإرهاب اليهودي) وممارساتها وتطبيقاتها قد طويت وانقضت ، فحقيقة الأمر والواقع أنها لا تزال حية وفاعلة في هذه الثقافة اللاهوتية حتى الآن، ففي مؤتمر «كولورادو» الذي انعقد بأمريكا في مايو سنة ١٩٧٨م لتنصير كل المسلمين، تحدثوا في أبحاثه الأربعين وفي مناقشاتها عن ضرورة اختراق الإسلام لتنصير المسلمين من خلال الثقافة الإسلامية، وبالاعتماد المتبادل مع الكنائس الوطنية والمحلية في الشرق الإسلامي، والعمالة الفنية المدنية الأجنبية في البلاد الإسلامية، ومن خلال المرأة والطلاب المسلمين الدارسين في الغرب، ومن خلال تغيير المناهج الدراسية كي يهتز توازن الإسلام، بل وبواسطة صنع الكوارث في المجتمعات الإسلامية وإكثار ضحاياها ، فيسهل إخراجهم من الإسلام . لقد قالوا في هذا المؤتمر عن الإسلام : « إنه هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً

وسياسياً ، ونحن بحاجة إلى مئات المراكز لفهم الإسلام ولاختراقه في صدق ودهاء، ولذلك لا يوجد لدينا أمر أكثر أهمية وأولوية من موضوع تنصير المسلمين ، ولذلك فعلى مديري إرساليات أمريكا الشمالية والقادة المنصرين الآخرين أن يكتشفوا ويوطدوا أساليب جديدة للتعاون والمشاركة مع كنائس العالم الثالث وعملها المنظم للوصول إلى المسلمين، لقد وطدنا العزم على العمل بالاعتماد المتبادل مع كل النصارى والكنائس الموجودة في العالم الإسلامي ، إن نصارى البروتستانت في الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا منهمكون بصورة عميقة في عملية تنصير المسلمين ويجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين نسعى إلى تنصيرهم ، وعلى المواطنين النصارى في البلدان الإسلامية وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معاً بروح تامة، من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك لتنصير المسلمين، إذ يجب أن يتم كسب المسلمين عن طريق منصرين مقبولين من داخل مجتمعاتهم ، ويفضل النصارى العرب في عملية التنصير ، إن تنصير هذه البلاد سوف يتم من خلال النصارى المنتمين إلى الكنيسة المحلية ، ويتم ذلك بعد تكوين جالية محلية نصرانية قوية»[١٨٠] ،كذلك رسمت بروتوكولا ت قساوسة التنصير خطة لتوظيف العمالة المدنية الأجنبية في تنصير المسلمين والتي جاء فيها: « لأنه على الرغم من وجود منصرين بروتستانت من أمريكا الشمالية في الخارج أكثر من أي وقت مضى، فإن عدد الأمريكيين الفنيين الذين يعيشون فيما وراء البحار يفوق عدد المنصرين بأكثر من ١٠٠ إلى ١ ، وإن الأفراد الذين يملكون الخبرة الفنية يمكنهم أيضاً أن يعملوا من أجل المسيح، وهذا أمر مهم وبخاصة في البلاد التي تمنع حكوماتها التنصير العلني، إنهم يستطيعون ويجب أن يتمموا عمل المنصرين وذلك بالعمل معاً جنباً إلى جنب لتنصير العالم الإسلامي»[١٨١]، وبدلاً من مواجهة إسلام القرآن الكريم والسنة النبوية، التي يجبن قساوسة التنصير أمامها، فيهربون للحديث عن مواريث وبقايا ثقافات الشعوذات

والخرافات والسحرة والشياطين، فيتحدثون مع النساء اللائي يكثرن من الاعتقاد في هذه التأثيرات والمؤثرات، فتنصح « بروتوكولاتهم » بالدخول إلى المرأة المسلمة من هذه « الأبواب » وليس من باب الجدال حول العقائد التي جاء بها الإسلام في قرآنه الكريم وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

انظر كيف ينحدر إلى هذا المستنقع أولئك الذين ينتسبون إلى حضارة ألّهت العقل وأحلت المادة محل الله ، فيقولون في هذه البروتوكولات التنصيرية:« بدلاً من البحث عن صراع مباشر بين الكتاب المقدس والقرآن دعونا نعلم المرأة المسلمة كيف تعيش في سلام من ضغوط السحر، ونقدم لها بديلاً نصرانياً للتأثير الشيطاني الذي يهاجم النساء ، وخاصة في المجتمعات الإسلامية ، إن النساء هن المفتاح لزرع الكتاب المقدس في المجتمعات الإسلامية ، أما تخطيط الأسرة ـ تحديد النسل ـ وهو عامل رئيس ومؤثر وله أهمية كبيرة، فمن الأفضل عدم تناوله خلال المراحل المبكرة من العمل التنصيري مع المسلمين»[١٨٢] .كذلك يعمل هؤلاء ويخططون لانتهاز فرص وجود الشباب المسلم الذين يدرسون في المجتمعات الغربية ، بعيداً عن المقومات والإمكانات التي تساعدهم على حماية القيم الإسلامية، وتحت الضغوط المادية وعوامل التحلل والانحلال ، فيتحدثون عن ضرورة التوسل بهذه الظروف اللادينية واللاأخلاقية لتحويل هذا الشباب عن إسلامه، وعن هذا التخطيط تقول بروتوكولات مؤتمر كولورادو :« يتزايد باطراد عدد المسلمين الذين يسافرون إلى الغرب ، ولأنهم يفتقرون إلى الدعم التقليدي الذي توفره المجتمعات الإسلامية ويعيشون نمطاً من الحياة مختلفاً ـ في ظل الثقافة العلمانية المادية ـ فإن عقيدة الغالبية العظمى منهم تتعرض للتأثير، وإذا كانت تربة المسلمين في بلادهم ـ بالنسبة إلى التنصير ـ أرضاً صلبة ووعرة ، أفليس بالإمكان إيجاد مزارع خصبة بين المسلمين المتشتتين خارج بلادهم حيث يتم الزرع والسقي والتهيئة لعمل فعّال عندما يعاد زرعهم ثانية في بلادهم كمنصرين؟»[١٨٣]، بل إن هذه البروتوكولات المعلنة الموضوعة في

الممارسة والتطبيق لا تكتفي بمحاولات اختراق الإسلام من خلال مصطلحات القرآن وأنماط الثقافة الإسلامية في مكر ودهاء ، ولا تقنع بالعمل على اختراق عالم الإسلام من خلال الكنائس المحلية والعمالة المدنية الأجنبية والمرأة والشباب المبتعثين للدراسة في البلاد الغربية، وإنما يذهب أصحابها على الدرب اللاأخلاقي وهم يرتدون مسوح الدين واللاهوت ، نعم لقد بلغوا على الدرب اللاأخلاقي إلى الحد الذي قالوا فيه : « لكي يكون هناك تحول إلى النصرانية، فلابد من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس ـ أفراداً وجماعات ـ خارج حالة التوازن التي اعتادوها ! وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية كالتفرقة العنصرية أو الوضع الاجتماعي المتدني وافتعال الإرهاب، وفي غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية، ولذلك فإن تقديم العون لذوي الحاجة قد أصبح أمراً مهماً في عملية التنصير، وإن إحدى معجزات عصرنا أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدأت مواقف حكوماتها التي كانت تناهض العمل التنصيري فأصبحت أكثر تقبلاً للنصارى»[١٨٤].

هكذا عملت وتعمل النصرانية البروتستانتية على تنصير كل المسلمين وحلمت وتحلم بطي صفحة الإسلام من الوجود من خلال البرامج التعليمية والخطط التنصيرية لنفي الآخر الإسلامي والحلول محله في سائر أنحاء عالم الإسلام، وإذا كانوا قد صدعوا ويصدعون رؤوسنا بالحديث عن « الحوار مع المسلمين » فإنهم يعترفون فيما نشروه من أبحاث ومناقشات مؤتمر كولورادو بأن هذا الحوا ر ـ عندهم ـ هو سبيل وآلية ومقدمة من المقدمات المهيئة للتنصير ، أي أن الحوار ـ الذي يريدون ـ ليس سبيلاً « للتعايش » بين فرقاء متمايزين ومتعددين ، وإنما هو آلية من آليات نفي الآخر ووراثة الآخرين، إنهم يعترفون بذلك فيقولون : « إن بيانات مجلس الكنائس العالمي ـ ليس بديلاً عن تحويل غير النصارى إلى النصرانية، وهذه البيانات ـ عن « حرية

الإقناع والاقتناع» ـ لا تعني تخلي المجلس عن مواقفه المناصرة « للجهود القسرية والواعية والمتعددة والتكتيكية لجذب الناس من مجتمع ديني ما إلى آخر»[١٨٥] .

وخلاصة القول إذا كان المطلوب من بعض الدول الإسلامية وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية أن تُغيِّر مناهجها الدراسية، نبدأ بإرساء القاعدة الأولى في المناقشة فكرياً لمعرفة ضرورة هذا التغيير كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[١٨٦]، فلابد أن يكون أحد الطرفين محق والآخر مبطل، إذن كيف يتبين الحق ويبسط العدل؟ هذا يكون بمعرفة القاعدة الثانية في المناقشة التي يقول الله تعالى فيها للمسلمين وغير المسلمين على لسان رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[١٨٧]، وإن لم يكن كذلك ولم يرغب طرف في قبول الحق نقول ها نحن قدمنا نماذج لما تحويه مناهجنا الدراسية من مبادئ حقوق الإنسان في الكرامة وحق الحياة والحقوق المالية والصحية والاجتماعية وحرية الدين ... إلخ استناداً إلى آي القرآن الكريم وأقوال الرسول محمد ﷺ وسيرته، ولا عبرة في الإسلام بشآذي السلوك، فالسلوك المنحرف عند بعض الناس شيء ومبادئ الإسلام شيء آخر ، وقواعد الإسلام حق وسوء فهمها من الآخرين لا يعني أن تلك القواعد خاطئة ، ثم الذي يطالب بالتغيير من الداخل من الذين يصوِّتون بأبواقهم نقول لهم اقرأوا مناهج التعليم في بعض الدول وما فيها من تشكيك في القرآن الكريم وصدق نبوة الرسول ﷺ وانتقاص لمبادئ عقيدة التوحيد وشريعة العدل، فهل يرضون ذلك على أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام وكتاب ربهم وشرعه المطهر ليسيروا في ركب المبطلين؟ إن المخربين والمفسدين والإرهابيين في الأرض متى ما قبض عليهم فالشريعة الإسلامية تطولهم بالعقاب قتلاً أو صلباً أو قطعاً أو نفياً ، ألا يكفي تلك الأحكام الرادعة التي توقف الجريمة فالقتل أنفى للقتل، أم يراد أن تكون العقوبات في حق الإرهابيين هي

السجن والاحتجاز ليخرج المجرم وقد زاد إجرامه .

إن التجديد في الحياة الإسلامية وفي جوانبها الدنيوية لا يتنافى مع مبادىء الإسلام ما لم يمس ثوابته التوقفية التي لا مجال للاجتهاد فيها ، يقول الملك عبدالعزيز يرحمه الله : « إن بعض الناس جهلوا تعاليم الإسلام الحقة ، وبهرتهم المدنية الغربية فنظروا إلى كل ما يصدر عن الغرب نظرة إكبار ، فأرادوا محاكاته وحبذا لو حاكوه فيما يعلي من شأنهم ، أرادوا محاكاته ـ بل حاكوه فعلاً ـ ولكن فيما يئن من عقلائهم. بعث صفوة الخلق ، اللهم صل وسلم عليه ، من العرب ، ونزل عليه أمين السماء في بلاد العرب ، بقرآن عربي غير ذي عوج، فلنعرف ذلك ولنحتفظ بديننا ولغتنا وبلادنا ، ولنحبها حباً جماً. لا مانع من أن نأخذ من غيرنا المفيد، فالحكمة ضالة المؤمن، يلتقطها حيث وجدها، وقد كان للعرب في جاهليتها خصال حميدة ، وكان لغيرهم أيضاً ، فجاء الإسلام فأقرها»[١٨٨]، ثم يضيف الملك عبدالعزيز قائلاً: « يقول كثير من المسلمين يجب أن نتقدم في مضمار المدنية والحضارة ، وأن تأخرنا ناشيء عن عدم سيرنا في هذا الطريق، وهذا ادعاء باطل، فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا ويقوينا على شرط ألا يفسد علينا عقائدنا وشيمتنا، فإذا أردنا التقدم فيجب أن نتبع الإسلام وإلا كان الشر كل الشر في اتباع غيره»[١٨٩]، وبكثير من الإيضاح والشرح الممزوج بشكر نعم الله ظاهرة وباطنة بما أنعم الله على المملكة العربية السعودية وولاة أمرها وشعبها، يتحدث الملك عبد العزيز يرحمه الله عن مرامي الناس إلى التجديد غير المفيد فيقول: «أما التجديد الذي يحاول البعض إغراء الناس به بدعوى أنه ينجينا من آلامنا فهو لا يوصل إلى غاية ولا يدنينا من السعادة الأخروية، إن المسلمين في خير ما داموا على كتاب الله وسنة رسوله، وما هم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة، إننا لا نبغي التجديد الذي يفقدنا ديننا وعقيدتنا ، اننا نبغي مرضاة الله عز وجل ، ومن عمل ابتغاء مرضاة الله فهو حسبه» [١٩٠] .

ولئن تحدث الملك عبد العزيز يرحمه الله عن التجديد والتغيير والتطوير في حياة الناس عموماً وذلك يتضمن التجديد في المعارف والثقافات ومناهج التعليم، فإننا نجد الأمير سلطان بن عبدالعزيز يتحدث عن التجديد والتطوير في الحياة التعليمية والتربوية حيث قال: « من المهم التذكير بأن ما تحقق من انجاز في مجال التعليم كما هو في غيره من المجالات كان إنجازاً ضخماً بكل المقاييس ، وصلنا في زمن قصير إلى مرحلة الفائض من المتعلمين ، وسوف تتواصل الجهود إن شاء الله لتعزيز التعليم، ولكن لابد من إدراك حقيقة مهمة وهي أن التعليم من المتغيرات المتطورة باستمرار مما يستوجب معايشة هذا التطور في المناهج وطرائق التدريس وكفاءة المعلم، فإذا كان التلقين التعليمي مطلباً من التكوين في مرحلة من مراحل تأسيس الدولة فإن مستجدات العصر ومتطلبات الحاضر والمستقبل والحاجة إلى الكفاءات المبتكرة والمبدعة تفرض معاودة التفكير في المضمون والمفهوم للتعليم على مختلف مراحله للبنين والبنات ، وذلك على أساس وضوح الرؤية والحاجة إلى بناء الأجيال القادمة بناءً علمياً متكاملاً يؤهله إلى مواصلة المسيرة الحضارية الكبرى لبلادنا . ونعتقد أن ما تبذله وزارة المعارف حالياً من مراجعة لمناهجها الدراسية وتأهيل معلميها هو خطوة في الطريق الصحيح ، ونأمل أن تتلوها خطوات أخرى في ساحة التعليم بشقيه بنين وبنات وفق رؤية واضحة ومحددة»[١٩١].

ختاماً نقول للمطالبين بتغيير المناهج الدراسية في المملكة العربية السعودية من الخارج ائتونا بمناهجكم نتفحصها زيادة عما ذكرنا وأوردنا من أمثلة لما فيها من تعليم الناشئة من صورة سيئة عن الإسلام إن كنتم حريصون على الارتقاء بمبادئ حقوق الإنسان، ثم نقارن ما لديكم ليس في المناهج الدراسية فحسب بل في الميراث الديني كله لديكم وما يحمله من عداوة للإسلام والمسلمين، وقد أشرنا إلى بعض ذلك في هذا المبحث الخاص بالتمييز الديني ثم تكون بعد ذلك الكلمة

الفصل من الذي يجب أن يغير مناهجه وتراثه وفكره الاستعماري ومنهجه العدائي والعدواني؟ وكلمة أخيرة فالتطوير للمناهج في الوسائل والأساليب أمر مطلوب ومهم، أما التغيير في الثوابت والقواعد فلا يملك أحد في تغييره لأن المسلم الصادق لا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً فهو إذ لا يرضى الإرهاب القائم على القتل والتدمير وإزهاق أرواح الآمنين فهو لا يرضى الإرهاب الفكري والاضطهاد الديني والإرهاب الاقتصادي والإرهاب السياسي ومع هذا كله فللإرهاب عقوبة في الإسلام فهذا ذكر من معي ومن قبلي والحمد لله رب العالمين .